رايات العز

وَلْنَنشُرُوا رَايَاتِ عِزِّي بَعْدَمَا طَلَعَ النَّهَارُ وَنَنْشُرُوا أَعْلَامِي

صحيفة التصوف الإسلامي الدولية

السنة الثالثة (العدد 34) شوال 1425 هـ - ديسمبر 2004م

السعر 100 دينار

12 صفحة

زيارة المركز الإسلامي في روما

قام الشيخ محمد الشيخ إبراهيم والوفد المرافق له يتقدمهم الدكتور فرانكو جراسي (عبد الغفور) بزيارة المركز الإسلامي في روما عاصمة إيطاليا وذلك في إطار جولته الأوروبية للدعوة الصوفية للإسلام ومن باب التواصل والتشاور مع كل الطوائف التي تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان في استقبال حضرته مجلس إدارة المسجد والعاملين به وعلى رأسهم السيد ماريو شالويا السفير الإيطالي السابق بالعربية السعودية والسيد رضوان عبد الله والسيد عمر كامليتي، وفضيلة الشيخ محمود المصري إمام المسجد الجامع وخطيب الجمعة، وبعد زيارة صحن المسجد قام الجمع بتفقد المبنى وملحقاته وخصوصا المكتبة العامة التي تحتوي على المصاحف المهداة من جميع الدول الإسلامية بكل القرآت ثم التراجم للمعاني وكتب الحديث والفقه والمعاجم وزيارة صالة الإطلاع، وبعد ذلك تفقد الجمع صالة المحاضرات المجهزة بكل وسائل التقنية الحديثة ثم المعرض بمحتوياته من اللوحات الفوتوغرافية للمعالم الإسلامية بالمدن الإسلامية المقدسة، ولقد تم الاتفاق بين الدكتور جراسي والسيد ماريو شالويا على افتتاح مدرسة لتعليم الأطفال اللغة العربية وقصار سور القرآن الكريم وذلك بمقر الطريقة البرهانية بروما.

سيدي محمد الطرابلسي

على شاطئ الأبيض المتوسط وفي قلب العاصمة طرابلس الغرب عاصمة الجماهيرية الليبية الشعبية وتحت إشراف المجلس الأعلى للزوايا الذي يتبع الأوقاف قام أبناء الزوايا العروسية والعيسوية والشاذلية والدرقاوية والبرهانية والسادة الفواتير بزيارة مقام سيدي محمد الطرابلسي وذلك بمناسبة مولده الرجبي وقد دخل الجميع يتقدمهم حملة الرايات وعلى أنغام الطبول تم استفتاح الحولية الرجبية وبعد ذلك تم قراءة المولد البرزنجي وتوالت قصائد المديح وحضرات الذكر، وسيدي محمد الطرابلسي يعلو ربوة على شاطئ البحر حيث كانت خلوته وعبادته وحيث كان يقصده الزوار لقضاء حوائجهم وفي نفس المكان يكون مقامه الشريف ومسجده العامر الذي يعمر دائما بالأوراد والذكر كسائر مساجد أهل الله الصالحين في سائر المعمورة.

حولية شاه حسيني بابا

قرية صغيرة على شاطئ النهر المقدس وعلى بعد مائتي كيلومتر من المحيط الهندي من سواحل بومباي تجمع المئات من أتباع الطرق الصوفية القادرية والبرهانية والشيستية للإحتفال بمولد العارف بالله شاه حسيني بابا الذي جاء في القرن الثامن الهجري إلى هذه المنطقة وأقام خلوته في نفس المكان الذي دفن فيه وقد وقف حياته رضي الله عنه لتعليم الناس شرائع الإسلام وإخراجهم من دياجير الجهل وعبادة الأصنام وقد تجمع الناس حوله يستمعون إلى تلاوته للقرآن الكريم لحلاوة صوته وبدأوا يدخلون للإسلام لدماثة خلقه وعطفه على المحتاجين، وقد لجأ إليه الناس على اختلاف مللهم ونحلهم لحل مشاكلهم وترك أماناتهم ووصاياهم عنده وقد كان نعم الأمين ونعم السند للجميع، وقد بدأ الإحتفال بقراءة الفاتحة ترحما على شهداء السونامي وجمع بعض التبرعات للمنكوبين والمتضررين، ثم استمرت الإحتفالات ثلاثة أيام ما بين تلاوة القرآن الكريم وإلقاء المحاضرات، وقصائد المديح مابين اللغة البنجابية والأوردية والعربية، وحضرات الذكر لكل طريقة على حده.

تهنئة

وصل إلى السودان من المملكة المتحدة بعد أن تماثل للشفاء البروفسير الشيخ حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله،وكان في استقباله جميع أبناء الطرق الصوفية بالمطار. وأبناء الطريقة البرهانية وأسرة رايات العز يهنئونه ويهنئون أبناء الطريقة السمَّانية بسلامة الوصول وبلوغ الشفاء، ويسألون الله تعالى أن يُديم عليه ثوب العافية وأن يحفظه ذخرا لأهل العلم.

أطبَّاء القلوب

أقام مجلس الذكر والذاكرين احتفالاً بمناسبة عودة السيد رئيس الجمهورية المشير / عمر حسن أحمد البشيرمن الحج، وقد شارك في هذا الاحتفال جميع مشايخ الطرق الصوفيه وأبناؤهم، بالأذكار والمدائح النبوية.

وقد تحدَّث السيد الرئيس عن دور الطرق االصوفية في دخول الإسلام للسودان، وقال: هم أطبَّاء القلوب، ونوَّه أيضاً بدورهم المرتقب في عملية السلام في الجنوب.

اقرأ داخل العدد

فضيلة العلم 2

من رقائق الصوفية.....4

الـزار..... 7،6

اليعقوباب.....9

صدرت مجموعتنا الجديدة من أشرطة المديح وقصائد الحضرات، ومن ضمنها مجموعة

"في حضرة المحبوب"

بصوت مولانا الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني

لمزيد من الإستفسار يرجى الإتصال على العنوان التالي:

السودان - الخرطوم - هاتف: 00249 91 2900493

البريد الإلكتروني : burhaniya_center@hotmail.com

المانيا - هامبورغ - هاتف: 004941 72 961611

البريد الإلكتروني : anders2727@aol.com

ولا تقل باتحاد

القلوب أوعية فإذا طاب قلبٌ يذكر الله أضحى روضه ما منبتُ الود كمنبتِ غيره لو أسقى الحنظل شهداً دائماً

الوعاء طاب ما قد حصله وآخر باللهو صار مزبله ولا سنا المسك كريح البصله ما نبت الحنظل إلا حنظله

قبل أن نتحدث عن الحلول والاتحاد رأينا أن نلقي بعض الضوء عن القلب وأهميته، فالقلب هو بيت الله في الإنسان ومدار الأمر على أعمال القلوب فهو كالراعي إذا صلُح صلحت الرعية. وإذا فسد فسدت الرعية وذلك لأن أعمال القلوب أصل لأعمال الجوارح وأعمال الجوارح فرع منها وتابعة لها. وقد أفصح لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الحقيقة بقوله الجامع: (ألا إن في الجسد مضغة لو صلُحت صلُح الجسد كله ولو فسدت فسد الجسد كله).

فصلاح العمل الظاهر متوقف على صلاح القلب، والقلب من كونه لطيفة ربانية يتأثر بأي شيء وينطبع فيه أي شيء تظهر فيه صور الأكوان يتأثر بالمعصية وهي ظلمة ويتأثر بالطاعة وهي نور والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

(إذا أذنب العبد ذنباً نكتت نكتة سوداء في قلبه فإذا زاد زيدت)، وهذا ما أخبر عنه الحق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿كلا بلْ ران على قلوبهم﴾، فهذا الران أصبح حجاباً يمنع ظهور العلوم والحقائق الإلهية. ولا بد من إزالته. فالقلب خلقه الله لنفسه لا لغيره قال سيدنا داؤد عليه السلام: (يا رب لكل ملك خزانة فما خزانتك، قال: خزانة أعظم من العرش وأوسع من الكرسي وأطيب من الجنة وأنور من الشمس وهي قلب المؤمن)

وقال العلماء القلب له وجهان ظاهر وباطن. الوجه الظاهر ترابي أرضي، الوجه الباطن سماوي علوي نوراني ظاهره كثيف وباطنه لطيف. ظاهره لمباشرة الدم وباطنه لمواجهة الأنوار. ونشهد به الأسرار ونشهد به عالم الغيب فهو كالمرآة فكما أن المرآة وهي صغيرة الحجم لا يظهر فيها إلا من كان محازياً لها فإذا توجه القلب إلى الحق وكان محازياً للحق ظهرت فيه الأنوار وانطبقت فيه العلوم الإلهية على وجه الانعكاس.

وإذا انحرف القلب إلى الدنيا أو إلى غير الله ظهر فيه الحال والشهوات والحسد والحقد والكبر وغير ذلك والقلب الذي عناه الحق وأشار إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس هذا القلب المتعارف عليه ولكنه عبارة عن لطيفة ربانية ويقول الشيخ يحيى بن معاذ حشوها جوهرة ربانية. والحديث المتواتر على ألسنة الصوفية وقيل (إن في الجسد مضغة وفي المضغة قلب وفي القلب فؤاد وفي الفؤاد روح وفي الروح سر وفي السر خفي وفي الخفي نور وفي النور أنا) سبحانك ربي لا شريك لك.

فالقلب سر إلهي. والحقائق تتطلع فيه على وجه الإنعكاس دون حلول أو اتحاد فمثلاً لو رأينا القمر مثلاً في النهر وهو في أفق السماء. هل حلّ القمر في النهر لا لم يحلّ فيه. هل اتصل اتصالاً مباشراً بالنهر لا لم يتصل به. هل انفصل عن النهر بالطبع لا.

ولذلك يقول العلماء: فلا هو في وصل بمتصل ولا بمنفصل عني وما قدر مثلي أن يحيط بمثله وأين الثرى من طلعة البدر، إنما أشاهده في صفو سري. فاجتلى كمالاً تعالى عزه أن يقسما كما أن بدر التمّ يظهر وجهه بصفحة الغدير وهو في أفق السماء.

فلا وصل ولا فصل ولا حلول ولا اتحاد وإنما هي تهمة باطلة لا تستند لنص صريح، وعلماء الأمة منزّهون عن هذه الاتهامات فمن فهم هذه الإشارة فليصُنها ويجب على كل إنسان أن ينظر إلى قلبه أولاً فربما يكون فيه إعوجاج.

محمد رشاد حسين

في محراب الإمام

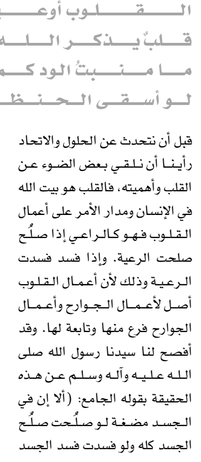

يروى أنه لما مات أمير المؤمنين أبوبكر الصديق وبايع الناس عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، أتاه رجل من شباب اليهود، وهو في المسجد والناس حوله، فقال: يا أمير المؤمنين دُلَّني على أعلمكم بالله وبرسوله وبكتابه وسنته صلى الله عليه وسلم، فأومأ رضوان الله تعالى عليه، بيده إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقال: هذا. فتحول الرجل إلى علي وسأله: أنت كذلك؟ قال: نعم، فقال الرجل: انبي أريد أن أسألك عن أشياء، فقال علي: أخبرني إن أجبتك بالصواب والحق تعرف ذلك. ولما أجابه الشاب بأن أباه كان من علماء اليهود. قال علي: والله الذي لا إله إلا هو لئن أجبتك بالحق والصواب لتُسلِمنَّ ولتدخَلَنَّ اليهودية، فحلف له الشاب اليهودي. فقال له علي: يا يهودي سل ما بدا لك أخبر به إن شاء الله. قال اليهودي: أخبرني عن أول شجرة وضعت على وجه الأرض. وأول عين نبعت في الأرض وأول حجر وضع على وجه الأرض. فقال علي: أما أول شجرة وضعت على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها الزيتونة، وكذبوا أنها النخلة العجوز، هبط بها آدم من الجنة فغرسها. وأصل الثمر كله منها، وأما قولك أول عين نبعت في الأرض فإن اليهود يزعمون أنها العين التي ببيت المقدس تحت الحجر، وكذبوا، هي العين التي أتاها موسى وفتاة فنفسلا منها السمكة فحييت، وليس من ميت يصيبه ذلك الماء إلا حيي، وأما قولك أول حجر وضع على وجه الأرض فتزعم اليهود أنه الحجر الذي ببيت المقدس وكذبوا إنما هو الحجر الأسود هبط به آدم من الجنة فوضعه على الركن فالمسلمون يستلمونه.

ثم قال اليهودي: أخبرني أين منزل محمد في الجنة ؟ قال علي : أما قولك أين منزل محمد في الجنة ففي أفضلها وأشرفها، جنة عدن. فقال اليهودي: أصبت والله الذي لا إله إلا هو وإن هذا لمكتوب عندنا بإملاء موسى وخط هارون بيده. ثم قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

اجابته كرم الله وجهه عمن لا أب له، ولا عشيرة له، ولا قبلة له، وعن قبر سار بصاحبه

سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عمن لا أب له، وعمن لا عشيرة له، وعمن لا قبلة له، فقال: أما من لا أب له فعيسى بن مريم عليه السلام، وأما من لا عشيرة له فآدم عليه السلام، وأما من لا قبلة له فالكعبة هي قبلةٌ ولا قبلة لها. وسئل كرم الله وجهه، عن قبر سار بصاحبه قال: ذلك يونس عليه السلام إذ سجنه الله في بطن الحوت.

إجابته عن رجل نذر أن يصوم حينا

كما سئل رضوان الله عليه عن رجل نذر أن يصوم حيناً ولم يعين وقتاً بعينه. فقال: هذا الرجل يصوم ستة أشهر وتلا قوله عزَّ وجل: ﴿تؤتي أكلها كلها حين بإذن ربها﴾ وذلك في ستة أشهر.

فضيلة العلم

قال كُميل النخعي وهو فيمن حضر زمان سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: جاءني سيدي الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فخرج بي إلى ناحية الجبّانة، فلما أسحر تنفس الصعداء، ثم قال: يا كُميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة عالمٌ رباني ومتعلّم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق، مع كل ريح يميلون، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق. العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق ومنفعة المال تزول بزواله، يا كُميل مات خُزّان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، ها هنا لعلوماً جمة (وأشار بأصبعه إلى صدره) لو وجدت حملة، بلى أجد لَقِناً غير مأمون يستعمل آلة الدين للدنيا، ويستظهر بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه، أو منقاداً لحملة الحق ولا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، أو منهوماً باللذة سلس القيادة للشهوة، أو مغرماً بالجمع والادخار ليس من رعاة الدين في شيء أقرب شبهاً بالأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلى لا تخلوا الأرض من قائم بحجة لله إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته، وكم ذا وأين اولئك؟ هم والله الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدراً، بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يُودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم العلم بهم على حقيقة الإيمان حتى باشروا روح اليقين فاستلانوا ما استخشن المترفون، وآنسوا ما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحُها معلقة بالرفيق الأعلى، يا كُميل أولئك خلفاء الله في الأرض والدعاة إلى دينه آه آه شوقاً إليهم انصرف يا كُميل إذا شئت.

قال الشاعر الحصيف:

تعلم فليس المرء يولد عالماً
وليس أخو علم كمن هو جاهل

وقال آخر:

تعلم فليس المرء يُخلق عالماً
وما عالمٌ أمراً كمن هو جاهل

وقال آخر:

ولم أرى فرعا طال إلاّ بأصله
ولم أرَ بدء العلم إلا تعلما

وقال آخر:

العلم يحي قلوب الميتين كما
تحيا البلاد إذا ما مسّها المطرُ
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يجلّي سواد الظلمة القمرُ

إدريس بلوط

شراب الوصل

إني رأيتُ وقلتُ يا قومي أرى
ولِيَ الفخارُ ومكّتي أمُّ القُرى
ومَدينتي أمُّ المَدائن كلّها
ومليكُها جدّي أمانٌ للورى

يشير الشيخ رضي الله عنه إلى ما يراه من التجليات الإلهية وهذه أشياء لا يفهمها الناس بالسماع ولا يطّلع عليها إلا صاحب البيت الذي وضع الله في سراج بصيرته من الهداية زيت، كما قال الشيخ النابلسي في شرح بيت ابن الفارض:

فسمعتُ ما لم تسمعي ونظرتُ ما
لم تنظري فَعَرَفْتُ ما لم تعرفي

وأما قولُه ومكّتي أمُّ القرى فمكّةُ بها أول بيتٍ وضع للناس قال تعالى إنَّ أوّل بيتٍ وُضِعَ للنَّاسِ لَلّذي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَهُدًىً لِلعالَمِين وقال الإمام السيوطي رضي الله عنه وكان موضع الكعبة خشفة على الماء ثُرى ومنها دُحيت الأرض فلذلك سُمِّيَت أُمَّ القرى.

أما المدينة فهي روح الكون وبها أفضل بقعة في الكون وصفها الإمام السيوطي فقال بها البقعة المعظمة المكرَّمة الزكية الذكية، الزاهرة الطاهرة، الشريفة المنيفة، الطيبة المطيَّبة،التي ضمَّت جسدَه الأعظم وخُلق منها بدنُه الأكرم، فإنها أفضلُ البقاع من غير خُلف ولا نزاع بل هي أفضل من الكعبة ومُقدَّمة عليها في الرتبة بل نـقل السبكي عن ابن عقيل الحنبلي أنها أفضلُ من العرشِ العظيم. وبهذا استدلوا على أنَّ الملكَ الجبَّار منزَّهٌ عن الحلول والاستقرار.

أما قوله (أمانٌ للورى) فقـد رويَ عن الإمام علي كرَّم الله وجهه قـولُه أنزلَ عليكم أمانان وقد رُفِعَ أحدُهما وبقي الآخر. أما الأمان الذي رُفِعَ فرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الأمان الذي بقي فالاستغفار ثم تلا قوله تعالى ﴿وما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبهم وَأنْتَ فِيْهِمْ وما كَانَ اللَّه مُعَذِّبَهم وهُم يستَغْفِرون﴾ وجاء في صحيح مسلم ولا يُريدُ أحدٌ أهلَ المدينةِ بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص وفي صحيح البخاري لا يكيدُ أهل المدينة أحدٌ إلا انماعَ كما ينماع الملحُ في الماء وهي أمانٌ لأهلها من أن يدخلَهـا الدجّال وفي حديث جابر رضي الله عنه: نعمـتِ الأرضُ المدينةُ إذا خرج الدجال، كانَ على كلّ نقـب من أنقابها ملك لا يدخلُها، فإذا كانَ ذلك رجفت المدينةُ بأهلها ثلاثَ رجفات لا يبقى منافقٌ ولا منـافقة إلا خرجوا إليه. ومن مات بها استحق الشفـاعةَ وجاء في سنن البيهقي من استطـاعَ أن يموت بالمـدينة فليمت فمن ماتَ بالمـدينة كنتُ له شـفيعاً وشهيدا ومنه جاء قوله أمانٌ للورى.

د. عبد الله محمد أحمد

جريدة التصوف الإسلامي الدولية
تصدر نصف شهرية (مؤقتا شهرية)
عن مؤسسة دار العز الصحفية

رايات العز

- رئيس مجلس الادارة
ورئيس التحرير د. عبدالله محمد أحمد
- مديرة التحرير هادية محمد الشلالي
- مستشار التحرير محمد صفوت جعفر

العنوان الرئيسي
السودان - الخرطوم - ص. ب ١١١٤ ، هاتف: ٤٨٤٦٧٧ - ٤٨٤٦٧٨
فاكس: ٤٧٦٩٣٨ - ٤٧٤٧٩٥
E-mail: rayatulizz@hotmail.com
www.rayat-alizz.com

التصوف

يظن بعض الناس - أو يزعمون - أن التصوف شيء مستحدث، وهذا بالطبع قصر باع في فهمهم فإن التصوف هو لب الدين وأن الصوفية هم أصلاً أهل الله جلَّ وعلا وخاصته من خلقه، بمعنى أهل الاشتغال به عزّ وجل وإن جاءت التسمية متأخرة فإن الجوهر باقٍ لأن جوهر التصوف ممتد منذ عهد حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في أمته بل إنه متسلسل في العابدين منذ بدء الخليقة وأوضح المولى تبارك وتعالى أن أولهم هو نبينا حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في قوله عزّ وجل: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾. وإن كانت هذه الآية يستدل بها في ثبوت أقدمية النبي صلى الله عليه وسلم وأسبقية نوره الذي يؤيده الحديث الشريف وسنتعرض لذلك في مقال آخر لاحقا.

وعلى ذلك فإن التصوف هو أصل الدين كما هو معلوم عند أهله الذين يعيشونه واقعاً رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، إذ إن غاية المؤمن أن يكون عابداً ذاكراً شاكراً مستقيماً على ذلك، وهذا لا يتأتى له إلا إذا صحب شيخاً عارفاً بالمسالك ليقيه في طريقه المهالك كما قال الشيخ ابن عاشر الأنصاري. وكما قال مولانا الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني رضي الله تبارك وتعالى عليه في إحدى قصائده:

فاتبعني يا مريدي
أهدك العلم السويا

فالمطلوب إذن أن يسير المريد على النهج الصوفي الصحيح الذي يُعرِّف الدين بأنه ثلاث مراتب وفقاً لما جاء في الحديث النبوي الشريف عن سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بأنه ثلاث مراتب هي الإسلام والإيمان والإحسان ويوضحها السادة الصوفية رضوان الله تعالى عليهم أجمعين هي علوم الشريعة والطريقة والحقيقة ويرمز إليها في القرآن الكريم بعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين.

وللدليل على أن كل مرتبة منها علم قائماً بذاته يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ ويقول عزّ وجل في آية أخرى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات: ﴿ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا﴾ ولما كان المطلوب من الجن والإنس عبادة الله وحده بدليل قوله تبارك وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، كان لا بد لهم من امتثال الأمر وطاعة الخالق ولكن الكيفية التي يعبدون بها في تفصيل المراتب ينبغي لهم أن يأخذوها من معلم يعلمهم. ومن شفافية التصوف أن يعلم الذاكر الساري جميع ما يلزمه من العلوم والأسرار في كل مرتبة من المراتب وعليه فقد طلب المولى عزّ وجل من المريدين أن يتقوا الله ويكونوا مع الصادقين وليس هناك أصدق من الصوفية رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وبما أن كل شيء مبني على العلم وأن العلم كما أوضح ساداتنا الصوفية رضوان الله تعالى عليهم أجمعين في باطن العرش أن الاسم الرحمن مستوٍ على العرش فلا بد من أخذ العلم من الرحمن، ولكن كيف الوصول إليه ! يقول المولى جلَّ وعلا ﴿الرحمن فاسأل به خبيرا﴾. هنا لا بد من الخبير إذ أنه لا بد لكل سالك من مرشد يأخذ بيده ويعلمه ويوجهه فالمولى تبارك وتعالى يقول: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ فإذا ظفر بالشيخ المرشد الواصل واطمأن له فقد وجد ضالته المنشودة فليلق له القياد ويكون بيد يديه كالميت بين يدي الغاسل، يغسله ويُطيِّبه ويُلبسه الجديد، يهيِّئه للقاء الله تعالى وهذا غاية الإكرام.

مجذوب الحاج حمد

التعاون

لقد خُلق الإنسان ضعيفاً بنفسه قوياً بربه، وبالتعاون مع أبناء جنسه، فما يستطع وحده أن يضطلع بأعباء هذه الحياة ولا أن يقضي مطالب العيش ولبانات النفس التي لا تنتهي آمالها من أجل هذا وضعت له حكمة السماء في نظام دستور عيشه، هذا العنصر الأساسي العجب، عنصر الازدواج والمشاركة، يستعين به على اقتحام الصعاب وتذليل العقبات فهذا سيدنا آدم عليه السلام وهو الإنسان الأول وأبو الخلق جميعاً لم يكن في وسعه أن يضطلع بأعباء العيش وحده وقد خلق الله له برحمته خلقاً لطيفاً أليفاً تجلّى له في شخص أمنا حواء التي جعلها زوجاً وشريكة تؤنسه في وحدته وتعينه على أمره.

فالإنسان منذ وطئت قدماه الأرض يشعر بالحاجة الماسة إلى من يقف بجانبه، فالتعاون الذي يحس الإنسان بحاجته إليه يكون في مبتكرات المدنية والحضارة بل هو أمر طبيعي صحب الإنسان منذ نشأته، تدفعه إليه الحاجة المشتركة الملحة من الحرص على دفع الشر عن نفسه والرغبة في جلب الخير لها.

ولكي يتجلى التعاون المثالي في اطاره الرائع السماوي حددت رسالات السماء أهدافه وفصلت شرائعها أنواعه فنزل قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى...﴾ فالتعاون على طاعة الله وبر الناس طاعة ولن يكون التعاون تعاوناً إلا إذا هدف إلى تحقيق هذا الهدف الأسمى وانتظم في سلكه عقد الحكمة القائلة: الفرد للمجموع والمجموع للفرد. فجئت منه الإنسانية أفراداً وجماعات أطيب الثمرات.

والتعاون المبارك المثمر هو الذي رسم خطاه على هدى من الدين وضوء كاشف من الخلق الكريم فمشى بين الناس هدياً صادقا، ومثلاً رائعاً في حراسة سماوية من زيف واستغلال المستغلين، إن اللبنات الأولى التي يؤسس عليها بنيان التعاون الحق يحتويها جميعها خلق كريم يدعو صاحبه إلى عمل الخير وينهاه عن الشر حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويسعى جاهزاً لتوفير الجهد وتوحيد الصف واجتماع الكلمة وتوفير الثقة واستتباب الأمن والنظام. وإذا أدركنا هذا كله لانجاح الحركة التعاونية أدركنا في سهولة ويسر مدى ما يؤديه الدين من مساعدات لهذه الحركة التعاونية فلقد جاءت الديانات كلها لتنظيم العلاقة بين الناس على أساس من التعاون، وتقديم الخير وتبادل المنفعة. وفي هذا يقول تعالى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، وثمرة التعارف التعاون وفي هذا المقام يقول رسول الله عليه صلوات الله وسلامه عليه (خير الناس أنفعهم للناس).

إن التعاون الحق قد استصفى روحه ومبادئه من الأديان التي تجمعت محاسنها كلها في خير دين، دين الإسلام الذي ارتضاه لعباده رب العالمين فهذه مدرسة الصداقة تتنظم طلابها صفاً صفاً لتعلمهم بدروسها السماوية ألا يسلم لغير مولاه، وسر هذا يتجلى في هذا البنيان المرصوص وهذه مدرسة الحج الكبرى تربط بين قلوب هؤلاء الطلاب برباط روحاني سماوي لا تستطيع يد الزمن له حلاً ولا يسع هذا الجمع الجميع إلا أن يؤمنوا بأن لهم وطناً واحداً أعز عليهم من كل الأوطان هو وطن الدين.

هادية الشلالي

بين الرجاء والتمني

نسمع كثيراً من الناس يستهينون بالمعاصي ويدّعون أنهم قد أحسنوا الظن بالله تعالى جرأةً على الله عزَّ وجلَّ واستهانة بأحكامه الواجبة على كلّ مخلوق.وقد ضرب الله المثل ببني إسرائيل على الجرأة على الله تعالى ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ استهانة بعذاب الله وتهويناً لمعصية الله ومخالفة أمره. ويلازم هذا الاعتقاد تواكل الناس وفتور الهمة في محاربة المنكرات والتلذذ بالمعاصي مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أثبت بأن بعض المعاصي تذهب الإيمان كالزنا وشرب الخمر قال صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا شرب الخمر شاربها حين يشرب وهو مؤمن). وفي حديث آخر (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع). بينما قال عزَّ وجلَّ في حق المؤمنين ﴿والذينَ إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسَهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفرُ الذنوب إلا الله. ولم يُصرُّوا على ما فعلُوا وهم يعلمون. أُولئكَ جزاؤهُم مغفرةٌ من ربِّهم وجناتٌ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها ونعمَ أجرُ العاملين﴾.

وقال الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني رضي الله عنه:

وهَيْنَاتْ ذنوبُ الحبِّ إنْ عُظِمَتْ
ما لمْ يكنْ فعلُه يُؤتى بإصرارِ

فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون فالذي يتخلق بهذا الُخلق الذي يدل على ضعف الوازع من المسلمين فهو على خُلق من خُلق اليهود الذين ضرب الله عزَّ وجلَّ بهم المثل.

صديق أبو هريرة

وَلِي نَظْمُ دُرِ

الإنسان الكامل

الحمد لله خَصَّ حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم بأكرم وأعظم الصفاتِ خَلْقاً وخُلُقاً حتى عُرِفَ بالإنسانِ الكامل وَصلِّ اللهمَّ على الكريم الرحيم الإمام العظيم وآله وصحبه وسلم تسليما.

تتعددُ صفات البشر وتتنوع، فمنهم سيِّد قومه، ومنهم الكريم الجواد، ومنهم الرحيم، ومنهم الإمام، ومنهم العظيم إلى غيرذلك مما لا يحصره العد وتختلف تلك الصفات من إنسان لآخر كماً وكيفاً ويتفاوت الناس - أيضاً - في اتصافهم بتلك، أي أن اتصاف أحد من البشر بكل الصفات وبأعلى درجاتها محال، بل عدُّوا من يبالغ في العطاء - مثلاً - من ذوي النقص والعيب وقالوا بملء أفواههم - اعترافاً - باستحالة كمال البشر:

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها
كفى المرءِ نُبلاً أن تُعدَّ معايبُه

وهذه مشيئة الله في خلقه أن جعلهم ناقصي الخُلق إلا حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهو الإنسان الكامل روحاً وجسداً لفظاً ومعنى كماً وكيفاً ويكفي قوله تعالى فيه على الإجمال: ﴿وإنك لعلي خُلقٍ عظيم﴾ . ويرون أنَّ تفضيل ما يتصف به صلى الله عليه وسلم محال يقول الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني:

وجزيلُ عطاءكم وسخيّ
وبلوغ الكمالُ فيك محال

ويقول الإمام البوصيري:

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرفٍ
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن قدرَ رسولِ الله ليس له حدّ
فيعربُ عنهُ ناطِقٌ بفم

وبالتالي أصبح غير مجد انتقاص قدر النبي صلى الله عليه وسلم مما فضله الله به على العالمين. قال الشاعر:

ومن عُصِبتْ عيناهُ فالوقتُ كلُّه
لديهِ وإن لاحَ الصباحُ غروبُ

يقول الشيخ محمد عثمان عبده نظماً في المصطفى صلى الله عليه وسلم:

وكريماً ورحمةً وإماماً
وعظيماً وليس فيك يقال

يتناول الشيخ في نظمه ما يتصف به النبي صلى الله عليه وسلم من صفات جليلة في أكمل صورها، فقد أتى نكرات (كريما، رحمة، إماما، عظيماً) ليبين كمالها وليبين بها أنها أحوالٌ ملازمة له بدليل أن هذا النظم مرتبط بما سبقه وهو قوله:

سيداً لم تزل وغيرُك زالوا
وجميعاً إلى جنابك آلوا

فإذا تأملنا تلك المعاني بشيءٍ من التفصيل تتضح لنا ملامح من الصورة الخُلقية للإنسان الكامل، فهو كريم ولا يزال كريماً ينساب العطا من كفِّه بلا كم ولا كيفية وهو رحمة ولا يزال رحمة بل إن الأمَّهات به اقتدت ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾ وهو إمامنا المصطفى ولا يزال إماماً بل للأئمة سيداً وهو عظيم الجناب ولا يزال عظيماً. ولنتفحص معاً - أخي الكريم - بدقة نظم درره ولنأت قوله (وليس فيك يقال) ولعله قد تبادر إلى ذهنك - الآن - كثير من المعاني، ولعل منها: أن الشيخ وهو يلبس ثوب الأدب وكأنه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مخاطبا: لا يُقال - يا رسول الله - إنك سيد وكريم ورحمة وإمام وعظيم بالرغم من اتصافك بتلك الصفات وإنما هم يقولونها وينسبونها لمن لا يتصفون بها وكان أجدر أن يمدحوك بها.

ولعل من المعاني - أيضاً - أن الشيخ وكأنه يخاطب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بقول: لا يُقال أنك سيد وكريم ورحمة وإمام وعظيم، أي أن المدح فيك لا يمكن أن يحد بحدود الألفاظ وهي أوعية تضيق المعنى.

ولعل لأهل البلاغة والإعجاز أمثال عبد القاهر الجرجاني شيخ البلاغيين وصاحب نظرية النظم - تفسير لتلك العبارة (ليس فيك يُقال)، فإن تقديم الجار والمجرور (فيك) مع وجود النفي (ليس) ما يفيد إثبات وقوع الفعل وهو القول وتخصيص وقوعه على غير المخاطب أي أن القول وإن كان حسناً وكذا القيل وهو كل قبيح إنما يقال ولكن ليس فيه صلى الله عليه وسلم، فمحال أن يتصف النبي صلى الله عليه وسلم بما يشين.

يقول الجمحي في مدحه:

عقم النساء فلن يلدن مثيله
إنّ النساء بمثله عقم

وفي قوله (يُقال) حذف لمفعول القول وغرضه من ذلك التعميم أي لا يستطاع القول الحسن فيه إذ أن بلوغ الكمال فيه محال:

لا يستطيع القول فيكم أن يفي
إن البحار لذكركم لمداد

وقد تكفي الألفاظ - رغم عجزها - مدح زيد أو عمرو ولكنها تعجز دوماً عن مدح الإنسان الكامل صلى الله عليه وسلم.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وسلم

د. الوسيلة إبراهيم محمد درار

أول خطبة لرسول الله ﷺ في أول جمعة بالمدينة

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول جمعة صلاها بالمدينة فقال:

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره، وأشهد به وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنوّ من الساعة وقربٍ من الأجل، من يُطع الله ورسولَه فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيدا، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضّه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرا، وأن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عونٌ صدقٍ على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بعد ذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدَّم، وما كان من سوى ذلك يرد لو أن بينه وبينه أمداً بعيدا، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد، والذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول عزّ وجل: ﴿ما يُبدَّلُ القولُ لديَّ وَمَا أنا بظلَّامٍ للعَبيد﴾ فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفّر عنه سيئاته ويعظم له أجرا، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيما، وأن تقوى الله يوقي مقته ويوقّي عقوبته ويوقي سخطه، وأن تقوى الله يبيض الوجوه ويرضي الرب ويرفع الدرجة، خذوا بحظكم ولا تُفرّطوا في جنب الله، قد علَّمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين. ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فإن من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم.

صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم

من رقائق الصوفية

اشراقات صوفية

تلك التوابعُ من نوابعِ جودها
خمرٌ يكون مزاجها تسنيما

قال الشيخ نجم الدين: الشريعةُ كالسفينة، والطريقة كالبحر، والحقيقة كالدر، فمن أراد الدرَّ ركبَ في السفينة، ثمَّ وصل إلى الدر فمن ترك هذا الترتيب لا يصلُ إلى الدر، فأوَّلُ شيءٍ وجب على الطالب فهو الشريعة والمراد منها ما شرعه الله ورسوله من الأوامر والنواهي، والطريقة هي الأخذ بالتقوى، وما يقرِّبك إلى الله زلفى من قطع المنازل والمقامات، وأما الحقيقة فهي الوصول إلى المقصد.

صحبة أهل الخير

صحبة أهل الخير حِصنٌ للمريد من الانقلاب والعودة إلى البطالة فإن البعد عن المعاصي يجعلها ثقيلةً على النفس، والقرب من الطاعات يهوِّن أمرها إلى النفس لذا قال سيدي بومدين:

ما لذة العيش إلا صحبةُ الفقرا
هم السلاطينُ والسادات والأمرا
فاصحبهمو وتأدَّبْ في مجالسهم
وخلِّ حظَّك مهما قدَّموك ورا

وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: لا تنقل قدميك إلا حيثُ ترجو ثواب الله، ولا تجلسْ إلا حيثُ تأمنُ غالباً من معصية الله، ولا تصحب إلا من تستعين به في طاعة الله، ولا تصطفِ لنفسك إلا من تزدادُ به يقينا.

سبحان من جذب خواص خلقه للسباحة في بحر العلوم بين عباده واختارهم للتبحر في لُجة قاموس تياره وأمواجه، وأظهر لهم أسراره ومعانيه ثمَّ اغترفوا من مدد إمداده وأطلعهم على حكم معلوماته، وكنه مدلولاته فهيَّئت عليهم رياح العنايات مع تخصيص اجتبائه وبسط لهم بساط قربه على أنهار محبته فارتوت أنوار قلوبهم تشوفاً من زلال اشتياقه وأردهم السعادات للكائنات في أزل الآزال من نعيم جزيل نواله. وخصَّهم بالمواهب الإلهيات والمعاني الربانيات. وأيقظهم لخدمته، وألهمهم بذكره ففتحت عليهم نسمات قربه ووداده وكشف لهم عن عالم الملكوت حين أشرقت أنوار قلوبهم لمشاهدة المعاني والأرواح الكريمة على صورة أحبابه وعاينوا أموراً برزخية بعيني البصيرة والبصر فمن ذلك رؤيتهم جهرةً لسيد أنبيائه. وهذا ممكن عقلاً وشرعاً ودليلنا الشرعي ما كان معجزة لنبي جاز ان يكون كرامةً لأوليائه.

استشرفت من هذه الدرر المنثورة كلمات وضاءة من كتاب عظيم وكلمات منتقاة بدقة متناهية. عند تلقيك لهذه الكلمات تدور في محور من نورٍ لأعظم الكُتاب وما خرجوا به من درر نفيسة لعل يستفاد بها أهل هذا الزمان.

كتاب (الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة) صلى الله عليه وسلم. لسيد أبي الفضل عبد القادر بن الحسين بن مغزل الشاذلي رضي الله عنه. جاء في هذا الكتاب الكثير مما لا يدركه إلا القليل الأقلّة. منها – دليل رؤية الملائكة من السنة – سند التصوف – قطوف من الكرامات – حُكم من أنكر كرامات الأولياء – و الكرامة والاستقامة – من كرامات الصحابة والتابعين – صفات الأولياء – وكيفية الكشف عن القوم – الفراسة وأمثلة لها – الصلة بين التصوف والكتاب والسنة – ومن أوصاف المتصوفة – والكثير مما ليس له عد ولا حد.

رضي الله عن أوليائه الأكرمين الذي جعلهم في دار الفناء أهل قربه وطاعته فغرفت أوقاتهم في بحار وجوده وعبادته ثم تفنت قلوبهم شوقاً إلى الخطاب الأزلي القديم.

فوعدهم بالنظر إليه في دار البقاء على بساط قربه وعنايته فاشتد شوقهم وشغفهم حتى صارتأجسادهم في غلبة الشوق والحب كالقتلى بلا محالة. وصارت أرواحهم في حجب سائرة في الملكوت جوالة، ثم أتحفهم من دار الدنيا تلطفاً بهم وتجلّى على قلوبهم بجمال الصفات فأصبحوا لما استشقوا نسيم القرب في هذه الحالة فشاهدوا جمال الصفات دون سبحات جلال الذات، إذ لو تجلّى ببارقه من جلال الذات لاحترق جميع الموجودات لكونها حادثة.

فاعلم أخي إذ لا بقاء لحادث كالظّلم مع إشراق نور القوم.

غادة سليمان

فرحة المدينة بالنبي صلى الله عليه وسلم

روي عن أنس رضي الله عنه: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكّة أظلم منها كلُّ شيء، فلما دخل المدينة أضاء منها كلُّ شيء، رواه بن ماجة بلفظ: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كلُّ شيء، فلما كان اليوم الذي تُوفي فيه، أظلم منها كلُّ شيء، ورواه أبو داؤود بلفظ لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ لعبت الحبشة بحرابهم فرحاً بقدومه، وما رأيتُ يوماً كانَ أحسنَ ولا أضوأَ من اليوم الذي دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، أضاءَ مِنها كلُّ شيء.

الشيخ الحسين الشيخ محمد عثمان عبده
من معرض الحولية

نار الحجاز

جاء في الصحيحين: لا تقوم الساعةُ حتَّى تظهرَ نارٌ بالحجاز، ولفظ البخاري: تخرج نار من أرض الحجاز تضيءُ أعناق الإبل ببُصرى قال القرطبي: قد خرجت نار الحجاز بالمدينة، وكان بدؤها زلزلةٌ عظيمة يوم الأربعاء بعد العتمة في الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ١٥٤ هـ، واستمرَّت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت، ثُرى مثل البلد العظيم، وتُرى رجالٌ يقودونها، لا تمرُّ على جبل إلا دكَّته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمروأزرق له دويٌّ كدويِّ الرعد، واجتمع من ذلك ردم حتَّى صار كالجبل العظيم، فانتهت النار إلى قرب المدينة، ومع ذلك كان يأتي المدينة نسيم بارد، وشوهدَ لهذه النارُ غليانٌ كغليان البحر قبل وارتفع ضوءها حتَّى كأنَّ الحرمَ النبوي عليه نارٌ مشرفة، وصار نور الشمس على الأرض تعتريه صُفرة، وكانت النساء يغزلن على ضوءها بالليل وهنَّ على أسطح البيوت. وقيل رؤيت من مكة، ورآها أهلُ ينبع. وجاء في الأخبار أنها كانت تأكل كلَّ ما مرَّت عليه من جبل وحجر ولا تأكل الشجر.،وقال الجمال المطري: أخبرني أحد عتقاء أمير المدينة قال: أرسلني مولاي الأمير عز الدين بعد أيام ، ومعي رجل من العرب، وقال لنا: اقربا من هذه النار، وانظرا هل يقدرُ أحدٌ على القرب منها، فإنَّ الناس يهابونها لعظمها، قال: فخرجتُ أنا وصاحبي حتَّى دنونا منها، فلم نجد لها حرَّا، فنزلتُ عن فرسي،وسرتُ حتَّى وصلتُ إليها، وهي تأكلُ الصخر والحجر. فأخذتُ سهماً من كنانتي،فمددت به يدي إلى أن وصلتُ إليها، فاحترق النصل ولم يحترق العود، فأدرت السهم إلى الجهة الأخرى مكان الريش، فاحترق الريش ولم يحترق العود. وقال أيضا: وظهر لي في معنى ذلك أنَّه لتحريم النبي صلى الله عليه وسلم شجر المدينة، لوجوب طاعتِه صلى الله عليه وسلم على كلِّ مخلوق. ويُفسِّره أهل العلم بأنه بركان ولكن الله جعل ناره برداً وسلاماً على حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذامن معجزات المدينة وهي من جنس معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿قلنا يا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيم﴾ وهذا يؤيِّد ما ذهب إليه الإمام السيوطي أنه ما من معجزة ولا مزيَّة أعطيها نبيٌّ من الأنبياء إلا أعطيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلها أو أعظمَ منها.

د. الوسيلة إبراهيم درار

الرفق بالحيوان

الإنسان خليفة الله في الأرض كرَّمه وسخَّر له ما في الكون جميعاً من أحياء وجمادات ومن أكثر ما انتفع به الإنسان هو الحيوان، قال تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ❖ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ❖ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيم﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِين﴾.

فاتخذ من أوبارها بيوتا، وصنع منها أثاثه، وحاك منها ملبسه، وحمل عليها أثقاله.

وقال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُون﴾ فذكر في هذه الآية أهم ما خلقت له الخيل والبغال والحمير من المنافع وهو الركوب، وفي الركوب راحة البدن، وسرعة الانتقال من مكان إلى مكان، والراحة من متممات الصحة، وسرعة الانتقال حفظ للوقت من أن يذهب في غير جدوى.

امتن الله تعالى على الإنسان بالأنعام والخيل وغيرها من ضروب الحيوان، ونبه على ما فيها من جمال وزينة، وفي هذا ما يرشد إلى أن يكون الاستمتاع بها في رفق ورعاية، المبالغة في تكليفها بالأعمال الشاقة يذهب قوتها وما فيها من جمال وزينة.

كان للعرب قبل الاسلام عادات جاهلية سنوا بها شرائع تحرمهم من الانتفاع ببعض أفراد الحيوان مع ما فيها من قوة وقدرة على النفع، ومن هذا النوع الناقة المسماة بالسائبة، ويحرم ركوبها يقول فيها الرجل: إذا قدمت من سفري، أو برئت من مرضي فهي سائبة، ويُحرِّم ركوبها ولبنها، والوصيلة وهي أن تلد الشاة ذكراً وأنثى فيقولون: وصلت أخاها، فلا يذبح من أجلها الذكر، والجمل المسمى بالحسام، وهو الفحل الذي ينتج من صلبه عشرة أبطن فكانوا يقولون: قد حمى ظهره ويمتنعون من ركوبه والحمل عليه، والبحيرة هي الناقة التي تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر، فإنهم كانوا يشقون أذنها، ثم يحرمون ركوبها ولبنها.

ثم جاء الاسلام فنهى عن هذا التعطيل الناشئ عن الجهل وسفاهة الرأي، فقال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُون﴾.

وكان للعرب عادات يسومون فيها الحيوان سوء العذاب، ومن هذه العادات ما يفعلونه لموت كريم القوم إذ يعقلون ناقته أو بعيره عند القبر ويتركونها في حفرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت، ويسمونها البلية قال رجل يوصي ولده عند الموت:

أبنيَّ لا تسَ البليَّة إنها لأبيك يوم نشوره مركوبُ

ومن هذا الباب شقهم لآذان الأنعام كما قصصنا عليك عادتهم في البحيرة، وهو ما أشار القرآن إلى قبحه إذ جعله مما يأمر به الشيطان فقال تعالى: ﴿وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ❖ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّه﴾.

وكلما اهتم الإنسان بما يملك طالت مدة انتفاعه به، ليس هذا فحسب ولكن الاسلام أرشد إلى أن الحيوان في نفسه حقيق بالعطف، فغرسَ له في القلوب عطفا عاما، واستدعى له الرحمة حتى من قوم لا ينتفعون أو لا يرجون أن ينتفعوا به في حال، وجعل الرفق به من قبيل الحسنات التي تذهب السيئات، وتنال بها المثوبة عند الله،وثواب الله في الآخرة.

د.إبراهيم الدسوقي

واحة الثقافة والأدب

قصص

دعاء طُفيلي

قصد قومٌ من الطفيليين إلى وليمةٍ فقال رئيسهم:اللهمَّ لا تجعل البواب لكَّازاً في الصدور، دفَّاعاً في الظهور، طرَّاحاً للقلانس، اللهمَّ هَبْ لنا لطفَه ورحمته ويُسرَه، وسهِّل علينا أُنْسَه، فلما دخلوا البيت أدخلهم البواب، فقال أحدُهم: غُرَّةٌ مباركةٌ موصولٌ بها الخِصب، معدوم معها الجدب.

فلما جلسوا على الخوان قال آخر: جعلك الله كمائدة عيسى في البركة.

ثمَّ قال رئيسهم لأصحابه: افتحوا أفواهكم وأقيموا أعناقَكم وأجيدوا اللَّف، واملئوا الأكُف ، ووسِّعوا الأشداق، كُلوا على اسمِ اللهِ تعالى.

النحوي وصاحب البطّيخ

قال نحوي لصاحب بطّيخ: بكم تانك البطيختان، اللتان بجنبيهما السفرجلتان، ودونهما الرمّانتان، فاغتاظ البائع وقال له: بضربتان وصفعتان ولكمتان فبأي آلاء ربِّكما تكذِّبان.

ضيف ثقيل

نزل رجل عند قوم وأطال الضيافة وثقلت إقامته على أهل البيت ولم يعلموا متى يرحل فقال الزوج لزوجتِه: كيفَ لنا أن نعلم مقدار إقامتِه ؟ قالت: نتشاجر غداً ونحتكم إليه متى يرحل. فتشاجرا واحتكما إليه فقالت الزوجة للضيف: استحلفك بالذي يباركُ لك في سفرك غداً أيُّنا أظلم ؟ قال الضيف: والذي يُبارك لي في إقامتي عندكم شهراً لا أدري أيُّكما أظلم.

إيّاك أعني واسمعي يا جارة

أوّل من قال ذلك سهل بن مالك الفزاري، وذلك انه خرج يُريدُ النُّعمان، فمرَّ ببعض أحياء طيء فسأل عن سيِّد الحي فقيل له: حارثة بن لأم، فرحل إليه، فوجده غائباً ووجد أخته فقالت له: انزل على الرحب والسعة، فنزل فأكرمته ولاطفته، ثمَّ خرجت من خبائها فرآها أجمل أهل قومها، فأخذت نفسه، فجعل لا يدري كيف يخطبها، فجلس يوما بفناء الخباء وأنشد وهي تسمع:

يا أختَ خير البدو والحضارة
كيفَ ترينَ في فتى فزارة
أصبحَ يهوى حُرَّةً مِعْطارة
إيّاك أعني واسمعي يا جارة

فلما سمعت قوله عرفت أنه إيَّاها يعني، فقالت: ماهذا بقول ذي عقلٍ أريب، ولا رأيِ مُصيب، أقمْ ما أقمتَ مُكرما، ثمَّ ارحلْ ما شئتَ سالماً ثمَّ أنشدت:

إني أقولُ يا فتى فزارة
لا أبتغي الزوجَ ولا الدعارة
ولا فراق أهل هذي الجارة
فارحلْ إلى أهلك باستخارة

فاعتذر إليها وقال ما أردتُ إلا الخير، فقبلت منه، وقالت: ارحل فإذا جاء أخي فأقدم عليه واخطبني منه فإني أجيبك إن شاء الله، ففعل وتزوَّجها.

المعتمد والرميكية

قيل إنّ المعتمد بن عبَّاد ملك أشبيلية تزوَّج امرأةً تُسمَّى الرُّميكية،وكانت قبل أن يتزوَّجها فقيرة وقضيا زمانا في غبطة، فخرجت معه يوماً يطوفان بالبلد فرأت نساء يَمشين في الطين، فاشتهت المشيَ فيه، فأمر المعتمد بالمسك والعنبر فسحقا وخلط بما الورد، عُجِنَ حتى صار كالطين، ثم وضع في حديقة القصر، فمشت فيه هي وجواريها يَخُضنَ فيه.

وكان يوما من أعجب أيام الدهر، ثم غاضبته يوما وقالت له: ما رأيتُ منك خيراً قط، قال: ولا يوم الطين ؟ فاستحيت واعتذرت.

امرأة صالحة

تزوَّج شُريح القاضي امرأةً تُسمَّى زينب فمكث معها عاما، ثمَّ استأذنت أمُّها في زيارتها، فأذن لها، وسألته عنها فأثنى عليها خيراً فقالت له: إنَّما زينب من النساء، فإذا رابكَ منها شيءٌ فعليك بالسوط فضحك وقال لها:

رأيتُ رجالاً يضربونَ نساءهم
فشلَّت يَميني يومَ أضربُ زَينبا
وكُلُّ مُحبٍّ يَمنحُ الودَّ إلفَه
ويعدِرُه يوما إذا هُوَ أذنبا

نفحات عبر

سؤال أحمق

سأل رجلٌ الشعبي: هل يجوزُ للمُحرم أن يحلقَ بدنَه؟ قال: نعم.قال بمقدر كم ؟ قال: حتى يبدو العظم.

❖❖❖

فقيه ظريف

حكى بعض من كان يحضر مجلس محمد بن داود الظاهري أنَّ رجلا دخل إليه ودفعَ إليه رقعة، فأخذها وتأمَّل فيها طويلا ، فظنَّ من في المجلس أنَّها مسألة في الفقه يسأله الفتوى فيه، فقلبها وكتب على ظهرها ، وردَّها إلى صاحبها وكان الرجل قد كتب فيها:

يا بن داؤد يا فقيهَ العراقِ
أفتنا في قواتل الأحداقِ
هل عليهنَّ في الجروح قصاص
أم مباحٌ لها دم العشاقِ

وإذا داود قد كتب فيها:

كيف يُفتيكمْ سريعٌ قتيلٌ
بسهام الفراق والاشتياقِ
وقتيلُ اللقاء أحسنُ حالاً
عند داؤدَ من قتيل الفراقِ

❖❖❖

أجاويد العرب في عصرهم

اجتمع في وقت واحد ثلاثة اعتبرهم الناس أجود العرب في عصرهم وهم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وقيس بن سعادة بن عبادة الخزرجي، وعرابة الأوسي.

وقد روى أن قوما اجتمعوا فذكروا الجود والأجاويد فذكروا أولئك الثلاثة، ثم اختلفوا حولهم أيهم أكثر جودا، فقال قائلهم: فلنبعث ثلاثة منا كل واحد يذهب إلى واحد منهم لنحكم على جودهم. فتوجه أحدهم إلى عبد الله بن جعفر فوجده يهم بالسفر وقد وضع إحدى قدميه في الركاب فقال له: أيها الأمير أنا ابن سبيل نفد مالي وزادي فنزل عبد الله وقال إليك هذا الفرس بما عليه، ولكن احرص على السيف فإنه من سيوف الإمام علي بن أبي طالب. فركب الرجل الفرس ووجد عليه ثيابا فاخرة وفيها صرة بها أربعة آلاف دينار. فذهب بهذه الأشياء إلى صحبه وذهب الثاني إلى قيس بن سعد فطرق بيته فخرجت له جارية أخبرته أن الأمير نائم. وقالت له قل حاجتك فإن كانت هينة قضيناها وإن لم تكن كذلك أيقظنا الأمير. فقال لها إنه ابن سبيل نفد زاده وماله، فقالت إن حاجتك أهون من أن نوقظ لها الأمير! ودخلت ثم أتت له بصرة فيها سبعمائة دينار وأقسمت له أن بيت قيس ما فيه غيرها من المال ثم قالت واذهب إلى معاطن إبلنا فخذ راحلة وما يصلحها وخذ معك عبدا، فأخذ ذلك وذهب به لقومه ولما استيقظ قيس وأخبرته الخادمة بذلك فرح وأعتقها مكافأة لها على كرمها. وذهب الثالث إلى عرابة فوجده يقصد المسجد متوكئا على عبدين له وقد أسن وكف بصره فقال له إنه ابن سبيل نفد زاده وماله، فقال عرابة: أواه أواه ! ما تركت الحقوق لعرابة مالا، ولكن إليك هذين العبدين فاستحيا الرجل وقال ما كنت لأقص جناحيك، قال عرابة هما عتيقان إن لم تأخذهما فإما أن تأخذهما وإما أن تعتقهما، فأخذهما وانقلب إلى قومه فقضوا أن الثلاثة أجود أهل زمانهم ولكن أجودهم عرابة لأنه جاد بكل ما عنده!

حلم الإمام الصادق

رويَ أن غلاماً وقف يصبُّ الماء على يدي الإمام جعفر الصادق ، فوقع الإبريق من يد الغلام في الطست، فطار الرشاشُ في وجهه، فنظر إليه مغضبا، فقال: يا مولاي «والكاظمين الغيظ» قال كظمتُ غيظي قال: «والعافينَ عن الناس» قال: عفوتُ عنك. قال: «والله يحبُّ المُحسنين» قال: اذهب فأنتَ حرٌّ لوجهِ الله.

❖❖❖

إياس ابن معاوية

رُوِيَ عن إياس ابن معاوية أنه قال: ما غلبني رجلٌ قط سوى رجل واحد، وذلك أني كنتُ في مجلس القضاء بالبصرة، فدخل عليَّ رجلٌ شهد عندي أن البستان الفلاني وذكر حدوده هو مِلكُ فلان، فقلتُ له: كم عددُ شجره ؟ فسكت ثمَّ قال: منذُ كم دخلَ سيدنا القاضي في هذا المجلس؟ فقلت: منذُ كذا سنة. فقال: كم عددُ خشبِ سقفه ؟ فقلتُ له: الحقُّ معك. وأجزتُ شهادته.

❖❖❖

القاضي يستشيرُ المجوسي

أرادَ نوحُ بن مريم قاضي خراسان أن يُزوِّجَ ابنته، فاستشارَ جاراً له مجوسيّاً فقالَ المجوسي: سبحان الله ! الناسُ يستفتونك وأنت تستفتيني قال: لا بدَّ أن تُشيرَ عليَّ فقالَ إنَّ رئيس الفرس كسرى كانَ يختارُ المال، ورئيس الروم قيصر كان يختارُ الجمال، ورئيس العرب كان يختار الحسب، ونبيكم محمد كانَ يختارُ الدين، فانظر لنفسك بمن تقتدي.

❖❖❖

جزاء سنمّار

مثل قاله بعض العرب في قتل بعض الملوك لسنمار البنَّاء الرومي لمَّا بنى له قصر الخورنق أعجبه وخاف أن يبني لغيرِه بُنياناً مثله فرمى به من فوق القصر فدُقَّت عنُقُه، فقيل لكلِّ من يجزي خيراً بشر جزاه جزاء سنّمار.

❖❖❖

قال ابن أبي عتيق لرجل: ما اسمك؟ قال: وثَّاب. قال: فما اسمُ كلبك ؟ قال: عمرو فقال:

فلو كانَ من التوفيق قد أُعطيَ أسبابا
لسمَّى نفسه عمروا وسمَّى الكلبَ وثّابا

❖❖❖

أعرابي عند الحجاج

يروى أن أعرابيا طلب الدخول على الحجاج بن يوسف، فأذن له فدخل والعصا في يده فغضب الحجاج حتى ظهر الغضب في وجهه وقال له مستنكرا: ما هذه العصا التي بيدك ففهم الأعرابي قصد الحجاج فقال له على الفور:

هي عصاي، أركزها لصلاتي، وأعدها لعداتي، وأسوق بها دابتي، وأقوي بها سفري، وأعتمد عليها في مشيتي ليتسع بها خطوي .. وأثب بها على النهر، وآمن بها من العثر، وألقي عليها كسائي فيقيني الحر، ويجنبني القر، وتدني إليَّ ما بعد عني، وهي محمل سفرتي، وعلاقة أدواتي، أقرع بها الأبواب، وألقى بها عقور الكلاب، وتنوب عن الرمح في الطعان، وعن السيف عند منازلة الأقران، ورثتها عن أبي، وسأورثها ولدي من بعدي، وأهش بها غنمي، ولي فيها مآرب أخرى فأعجب به الحجاج وأكرمه.

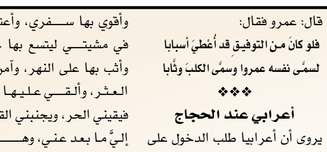

عذب الحديث

حلفت يميناً ما ألفت لغيركم
لأن حشائي قد حشى بهواكمُ
لأنتم مُنى قلبي من الناس كلفهم
وأنَّ فؤادي لا يحب سواكمُ
سقاني الهوى كأساً من الحبِّ مُترعاً
فهمتُ به وجداً لوصل حماكمُ
فللهِ من ساقٍ به ابتهجَ الحشا
فيا ليتهُ لمَّا سقاني سقاكمُ
فيا ليتَ حُبِّي عندكم وصبابتي
وداعي الهوى لمَّا دَعاني دَعاكمُ
فيا ليت ذاك الحُب يُقسَمُ بيننا
وبينكم في الحان عندَ لقاكمُ
فنحيا جميعاً تحت ظلِّ ودادكمُ
ونَهنا مدى أوقاتِنا لهناكمُ
وندرك ما قد كان مِنا من الوفا
ونعطى المنى منكم وتعطوا مناكمُ
وإن قيل لي: ماذا على الله تشتهي
لقلت رِضا الرحمن ثم رِضاكمُ
خذوني عبداً بل عُبيداً لعبدكمْ
ومملوكُكم من بيعكم وشراكمُ

سيدي الجيوشي رضي الله عنه

ظاهرة الزار: أصلها وطقوسها وحكمها الشرعي

نبتدر الحديث هذه المرة عن ظاهرة اجتماعية تفشت في مجتماعتنا بصورة كبيرة، وكثر الجدال حول أصلها، وطقوسها، وحكمها الشرعي ورأي الدين حولها وتقييم الناس لها ما بين معارض وموافق، وأردنا أن نسلط الضوء عليها لمعرفة حقيقتها وهي ظاهرة الزار أو الريح الأحمر، واليوم نعرض الزار تحت المجهر لكي نصل سوياً لمعرفة المعالجة الموضوعية له وتقييم الدين له حول مدى حرمته وآثاره السيئة.

ما هي حقيقة الزار؟

الزار ظاهرة اجتماعية ناتجة من اعتقاد نفسي كامل بوجود قوة خفية من الأرواح من غير الجن والشياطين تحلُّ وسكن في الإنسان ذاته وتعلن أنها تريد بعض المطالب أو ما يسمِّيه أهل الزار بالطلبات من الفرد المعين لتزيل عنه أي حالة مرضية غير طبيعية وبمجرد حلول هذه الأرواح في الفرد فإن شخصيته تصبح مطابقة للروح التي حلت فيه وحينها نجده يتحدث بلسان هذه الأرواح ويخضع لتصرفاتها وسلوكها.

والخطأ الفادح يكمن في الاعتقاد بأن هذه الروح الشيطانية لها رغبات يجب أن تلبَّى وإلا أزعجت من خالطته، فصارمضطرباً وقلقاً فحينئذٍ يطلق عليه مريض الزار أو المدستر.

والخطر الحقيقي يتمثَّل في أبدية الحلول بمعنى استمرارية الأرواح وإلحاحها الشديد على تنفيذ رغباتها وإجابة طلباتها والحصول على ما تريد من الشخص الذي حلَّت فيه. وهنا نقطة هامة يجدر الإشارة إليها وهي أن هذه الأرواح أو كما يسمونها (روح الزار) أو الريح الأحمر لا تفارق الشخص المدستر أو المريض حتى بعد إجابة طلباتها وتنفيذها بل تدخل معه في ما يُشبه الصلح ويعود بعده المريض إلى حالته العادية لفترة، ثمّ تعود لإزعاجه مرَّةً أخرى بعد فترة حتى تُصبح هذه الطلبات نوعا من الابتزاز الذي لا نهاية له.

شيخة الزار

أهم شخصية لها وزنها وفاعلة جداً في عملية الزار هي الشيخة ويسمونها (شيخة الزار) وأحياناً يقوم بدور الشيخة رجل ويسمى شيخ الزار، وفي الغالب الأعم تكون الشيخة امرأة وتكون لها مساعدات يعملن تحتها، وغالباً ما تربطهن بالشيخة الكبيرة صلة قرابة أو نسب. وتحصل شيخة الزار على هذا المنصب بعد أن تقضي فترة طويلة كمساعدة لشيخة زار أخرى، وبعدها يتمُّ تفويضها من قبل الشيخة القديمة لتحي قسماً خاصاً بها لنشاط الزار وهذا التفويض يعتبر أهم شرط من شروط تتويج الشيخة الجديدة ولها مؤهلات خاصة، شخصية قوية ومؤثرة على المعتقدين في الزار خاصة النساء اللائي يُمثلن الغالبية العظمى. كما لا بد من أن تكون الشيخة الجديدة قد أصيبت بالزار مسبقاً وأقامت حفل زار وفاءاً وعرفاناً للزار لأنه أعطاها حياة جديدة بعد أن كادت تموت أو تفقد عقلها بإصابتها بالزار.

أعمال ودور الشيخة

يقع على عاتق الشيخة الإشراف التام على حفلات الزار وإعدادها وتشخيص الزار ومعالجته لأنها بمثابة الوسيط أو حلقة الوصل بين أرواح الزار وبين الذين يحلُّ فيهم الزار، ووتمتع الشيخة بحضور قوي وصوت جميل مؤثِّر على مشاعر الحاضرين.

تشخيص حالة الزار

الشيخة هي الشخص الرئيسي أو المباشر الذي يقوم بتشخيص حالة الزار بطريقة روحانية تسمى العلق وهي غالباً ما تكون قطعة من ملابس المريض. وهي تتم بأخذ علق المريض، وتضعه الشيخة تحت جبينها ليلا قبل أن تنام، فتأتيها أرواح الزار في النوم والذين لهم دور مباشر في تسبب المرض ويتحدثون لها عن المريض وسبب مرضه ويعلنون عن طلباتهم ويطالبون بتلبيتها، كيما يتم علاج المريض، وغالباً ما تكون الطلبات عبارة عن إقامة حفل زار أو كرامة أو إحضار ملابس أو عطور. والشيخة بدورها تبلغ أهل المريضة ،هناك نوعان من الأرواح فهنالك أرواح الريح الأسود ويقصد بها مجموعة أرواح الجن والشياطين والتي يعتقد أنها تسبب الجنون عندما تحل بإنسان ما. ولا يعالج إلا بإخراجها من جسده ويتصف صاحبها بقذارة الملبس والبعد عن النظافة. أما النوع الثاني هو أرواح الريح الأحمر، ويقصد به مجموعة الأرواح الأخرى دون الجن والشياطين والتي حين تمسُّ فرداً بعينه تسبب له اختلالاً أو قلقاً نفسياً، والذي قد لا يصل لحدّ فقدان العقل، وعلاجه يتم عن طريق شيخة الزار وذلك بإقامة حفل زار أو ذبح كرامة كما ذكرنا سابقاً أو التردد على حفلات الزار والنزول فيها ومن الحالات الخفيفة على توليع البخور فقط. وتتسم بأنها نظيفة وتحب الفرح والأشياء الجميلة.

مجموعات الزار وأقسامه:

ينقسم الزار إلى عدة مجموعات وأقسام وأهمها: زار الدراويش والستات والحبش والعرب والسحاحير والخواجات. ولكل مجموعة من هذه الأنواع نوع من الخيوط خاص بها ويميزها عن غيرها من المجموعات والخيط المقصود به أغنية الزار أو دعوة الروح الخاصة بالزار.

ولكل مريض بالزار له خيط خاص به وطلبات لكل مجموعة يختلف عن الأخرى والخيوط (أغاني الزار) غالباً ما تتضمن كلماتها لطلبات المجموعة المعنية. والتماس الطلبات يقع على عاتق الشيخة كما ذكرنا مسبقاً وبتنفيذ الرغبات والطلبات ترضى روح الزار عن المريض فيعالج. لأن معرفة الطلبات هي مفتاح العلاج.

وهنالك عدة أنواع لحفلات الزار تقام في حالات خاصة مثل:

١- حفل زار خاص أو كرامة وتقام عندما تحدد الشيخة إصابة المريض بالزار ويكون الحفل مفتوحاً للجميع.

٢- حفل زار عام وهي تتم عندما تكون هنالك رغبة جامحة عند المدسترين بإحياء حفل زار وغالباً ما يكون عندانقطاع حفلات الزار الخاصة.

٣/ وهنالك حفل زار سنوي في شهر رجب تقيمه الشيخة في العاشر من رجب بمناسبة انتهاء العام، لنشاط الزار ففي شعبان ورمضان خاصة يتوقف نشاط الزار.

والتفسير الوحيد لهذا المسلك بأن الجن والشياطين وأرواح الزار تكون مقيدة في شهر رمضان.

عادات وطقوس الزار

أولاً تقوم الشيخة بتحديد موعد قيام حفل الزار وإخطار أهل المريض في حالات حفل الزار الخاصة ويتم حضور المدعوين سواء أكانوا من مرضى الزار (المدسترين) أو غيرهم في الثانية ظهراً لأن حفلات الزارعادةً ما تبدأ في حوالي الساعة الثالثة ظهراً داخل منزل الشيخة أو منزل المدستر ويكون داخل حجرة طويلة أو برندة مغلقة (غير مكشوفة) ومن أهم معدات الزار الطبلة وهي الأداة الرئيسية وإحضارها من اختصاص الشيخة، وتقوم بالضرب عليه مساعدة الشيخة، والكشكوش وتضرب عليه أيضاً إحدى المساعدات، والمبخر والبروش للجلوس عليها والعصا للنزول بها، والكرسي وهو من معدات الحفلات الخاصة ويقصد به طلبات الزار التي يحضرها أهل المُكرَّم كهبة للزار، توضع فوق الكرسي وتُغطَّى بقماش أبيض حتى يحين موعد بداية الحفل فتقوم الشيخة بإزالة الغطاء عن الكرسي وتقوم بمعاينته وعند التأكد من تمام الطلبات تأخذ مكانها قرب الطبلة ويبدأ الحفل. وتكون بداية الحفل بعد دق الطبلة بترديد أو غناء الخيط ويردده وراء الشيخة مساعداتها وجميع الحاضرين ويستمر لفترة ما بين الثلاث أو الخمس دقائق وهي وقابلة للزيادة في بعض الأحيان وينزل المريض أو المدستر.

الزي الخاص

لكل مجموعة من المدسترين زيٌّ خاصٌّ بها، وهذا شيء يلتزم به المريض لأنه جزء مهم من طلبات الخيط أو الروح التي تتمُّ مناداتها وهو جزء من محاولة إرضاء روح الزار، وبيان احترامه لها.

الخيط

الخيوط عبارة عن مجموعة من الكلات المنظومة في أغانٍ قصيرة لا تتعدَّى البيت أو البتين وتشتمل في بعض الأحيان على الفاظ مبهمة غير معروفة.

الغالبية من المدسترين لهم خيط واحد لا ينزلون إلا فيه، ولكن هناك بعض أهل الزار الذين لهم أكثر من خيط واحد، والنزول في خيط يساعد الشيخة على تلمُّس طلبات الزار، فهذه المجموعات مرادفة لتقسيمات تقوم على نوع المطالب الخاصة بكلِّ مجموعة. وعلى سبيل المثال تكون أكثر طلبات السحاحير اللحم النيء، والخواجات الخمر والسجائر والبدلة والطربوش الأحمر، والعرب ويُقصد بهم الهدندوة، السوط والجلابية والخنجر والجُلال. والستات تنحصر طلباتهم في العطور والفساتين والمجوهرات وهي أغلى أنواع الطلبات.

والجدير بالذكر أن هذه الطلبات في بعض الحالات تشتمل عليها كلمات الخيط نفسها وبنهاية الخيط يعود المدستر إلى حالته الطبيعية، إلا في بعض الحالات، حيث يكون على البشيخة التوسُّل للأرواح وإرضائها حتى يهدأ المريض، وغالباً ما يكون هذا وسيلةً لطلبات أخرى من قبل الأرواح.

كيفية النزول

أغنية الزارعلى إيقاع صوت الطبل والكشكوش وصوت الطشت النحاسي تكون شديدة التأثير على الحاضرين وتدفع الحاضرين للتجاوب فيتم النزول في الخيط بتأثيره على المصاب بالزار (المدستر) وشل حركته ثم يبدأ اهتزاز في أطرافه ويطلقون عليه في هذه الحالة أنه (اتلبش) ثم يهتز جسمه بأكمله وينزل في وسط الحلقة وهنا يقال أنه نزل وغالباً ما ينزل بدون ارتداء زي الزار الرسمي أما إذا كان يملكه فيتردديه قبل النزول أو أثناءه، وإذا لم يعد معنى ذلك أن هنالك طلبات أخرى يفصح عنها بعد حين قليل من الوقت.

الكرامة

والكرامة في الحفلات الخاصة وحفلة الرجبية تعني ذبح خروف بعد تهيئته للذبح وذلك بإعطائه ماء للشرب ويطلى باللون الأحمر (بالحناء) على الذنب والجبهة، وعندما يهم الذابح بذبح الخروف يضع في فمه قطعة نقود أو قماش حتى لا ينسى الالتزام بعدم ذكر بسم الله عند الذبح كالعادة المتبعة في الذبح اعتقاداً منهم بأن (بسم الله) ستمنع أرواح الزار من الوقوف على كرامتهم التي ذبحت قرباناً لهم، وبعد الذبح يتعدىّ المكرم الذبيحة عدة مرات، ويُسَّمى فكَّ العارض ثم بعد ذلك يؤتى بصحن أبيض توضع فيه كمية من الدم وتأخذ الشيخة كمية بسيطة من الدم بأصبعها وتضعه فوق جبهة المكرم قائلة: سلامتكم،إيذاناً بالشفاء، ثم تكوِّن الشيخة صفاً قصيرا يدورُ حول الكرامة أو الذبيحة مرددة: كرامة مقبولة إن شاء الله، ثم تعود أدراجها لإكمال ما تبقى من الحفل. ويجب على المريض أن يلزم بيته أو بيت الشيخة بعد الحفل لمدة ثلاثة أيام على الأقل.

هل للزار أصل في الدين

كثيرون من مرتادي الزار والمعتقدين فيه يعتقدون أن هنالك ثمة صلة وثيقة بين الزار والدين الإسلامي على أساس أنه في حد ذاته طريقة علاج وفق العرف الديني، ولكن هذا خطأ كبير لا يمكن تجاوزه إذ أنه لا توجد أدنى صلة لا من قريب ولا من بعيد بين الزار والدين الإسلامي لأن الزار بكل حيثياته وطقوسه لا يتمركز على أي قاعدة دينية، بل ليس له ما يبرره من الناحية الدينية فالطريقة التي تتبع لمعالجة أمراض الزار وما يصاحبها من طقوس ونشاطات كلها مخالفة لشرع الله، من رقص وغناء ودق الطبول والتبرُّج السافر والاختلاط، غير اللائق، ومسح الدم على الجبين، ومنع الذابح من ذكر اسم الله على الذبيحة. فالذبائح تقدم قرابين لأرواح شياطين الزار وهذا يدخل في جُملة البدع والأعمال الشيطانية التي تشغل الناس عن دينهم وتعوق عباداتهم وتصدهم عن طريق الرشاد وفعل الثواب. لأنها لا تربط الفرد المصاب بأي شعيرة دينية من صلاة أو دعاء أو أي وسيلة تقرب إلى الله أو طريقة علاج قرآنية مثلى.

خلاصة القول هنا أن عملية الزار وما يصاحبها من نشاطات وإعتقادات ما هي إلا عملية ابتزاز شيطانية تتم عن طريق الفرد المصاب للحصول على الطلبات تنفيذاً لرغبات أرواح الزار الشيطانية التي لا حد لها ولا نهاية.

﴿وأنَّه كان رِجَالٌ من الإنس يعُوذونَ برجالٍ منَ الجنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقَا﴾ أي تجرَّأوا عليهم لأنهم طلبوا رضاهم،فقد كان شيوخ العرب إذا نزلوا وادياً بليلٍ قالوا نعوذ بكبير هذا الوادي من سفهائه

المسئولية الدينية

يكون مريض الزار مغلوباً على أمره فهو يتصرَّف وفق ما تُملي عليه الأرواح وعلى هذا لا تقع عليه المسئولية، ولكن تقع المسئولية الدينية على أهل المريض الذين يذهبون به إلى شيخة الزار أويقنعونه بضرورة العلاج عن طريق الزار، وتقع المسئولية أيضاً على شيوخ الزار الذين يتحمَّلون المسئولية الكاملة عن هذه الممارسات الخاطئة. وجدير بالذكر أنَّ الذين يحضرون حفلات الزار وليسوا من مرضى الزار يعرِّضون أنفسهم للإصابة بالزار لأنه مكانٌ يعجُّ بالشياطين وتكثر فيه المفاسد.

التفسير الديني

الزار هو عبارة عن مس من شياطين الجن، والجن هم نوع من المخلوقات المكلفة العاقلة المستترة أي غير الظاهرة التي لها القدرة على التشكل ووضع قدمه عند منتهى بصره وفيه المسلم والكافر. والشياطين هم من كفرة الجن ويعيشون في الأرض الثالثة وهنالك العفاريت ويعيشون في الأرض الخامسة.

والزار هو حالة مرضية ناتجة من الهيمنة الجنية، يتعرض لها الإنسان لنوع من أنواع الجن من قبيلة الجن الأحمر ولا يخرج من كونه شيطاناً كافراً أو عفريتاً (كما ذكرنا في أعدادنا الأولى أن للجن سبع قبائل).

وهذا النوع من الجن يحب الطبل والرقص والصخب وشرب الخمر والمحرَّمات، ويتمكن من الدخول إلى الإنسان عند الغفلة عن ذكر الله ثم يبدأ في السعي للحصول على طلباته وتنفيذ رغباته الشيطانية، ويكون لدى الشخص المصاب رغبة دائمة ومتواصلة في الذهاب إلى الزار والريح الأحمر لدرجة أنه يألفه ولا يطيق الابتعاد عنه ويستنفذ كل الجهود المادية لتلبية رغباته وطلباته.

نتوصل إلى أن الزار في حد ذاته مس شيطاني ولا بد من علاجه بصورة فورية وكل من يساعد في عملية الزار ويدخل في نشاطاته وطقوسه وساهم فيه من باب المشاركة أو العلاج فقد وقع في الحرام شرعا. وأن حالات المس الشيطانية أو الجنية تحدث نتيجة لعدم التحصين الكافي أو للمخالفات الشرعية، أو الذكر بدون خبير. لذا لا بد من اتباع الخبير في العبادة والذكر قال تعالى: ﴿الرحمن فاسأل به خبيرا﴾.

ويمكننا أن نختم قولنا بما جاء في الألوسي وما نصه (وقد يدخل في بعض الأجساد على بعض الكيفيات ريح متعفن تعلقت به روح خبيثة تناسبه فيحدث الجنون، وربما استولى ذلك البخار على الحواس فعطلها واستقلت تلك الروح الخبيثة بالتصرف فتتكلم وتبطش وتسعى بجوارح ذلك الشخص الذي تلبَّست به من غير شعور للشخص بشيء من ذلك أصلاً وهذا كالمشاهد المحسوس الذي يكاد بعد منكره مكابراً منكراً للمشاهدات).

أصوليات العلاج

من نعم الله تعالى التي خصنا بها أنه منَّ على عباده فجعل لكل داء دواء له طبيبه المختص الذي يعرف وينهم الحالة المرضية تماماً بما لها من أبعاد وآثار سالبة، فيعطي العلاج الشافي الكافي. وبما أن حالة الزار هي حالة مسٌّ شيطاني فلا بد لنا أن نتخير المعالج المختص المتحقق العارف بالله.

فهنالك معالج مدعي يدعي أنه يعالج بالقرآن وهو لا يعرف أبجدياته، وهنالك معالج يستخدم الجن السفلي في علاجه، ومهما كانت النتيجة فالعلاج بالادعاء الكاذب وبالجن خطأ فادح لا تحمد عقباه،لأنه يؤدي بالإنسان إلى حافة الهاوية بارتكابه لكثير من الأخطاء التي لا يمكن التغاضي عنها في الشريعة، ولا صلة لها بأصوليات الدين الإسلامي لذا لا بد من توخِّي الحذر بحيث يتجه الإنسان للعلاج على يد الشيخ العارف المتحقق المتخصص الواصل الذي يكون علاجه أفضل وأسلم وأقوم لأنه مأذون بذلك، ويعالج محبةً في الله ولوجه الله حيث لا يرجو من علاجه جزاءاً ولا شكوراً وليس غرضه إلا منفعةَ الخلق طلبا لرضاء المولى تعالى.

هادية محمد الشلالي

من علوم الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني - 25

وكان رضي الله عنه يقول: المريد من شيخه على صورة الميت لا حركة ولا كلام ولا يقدر أن يتحدث بين يديه إلا بإذنه، ولا يعمل شيئاً إلا بإذنه من زواج أو سفر أو خروج أو دخول أو عزلة أو مخالطة أو اشتغال بعلم أو قرآن أو ذكر أو خدمة في الزاوية أو غير ذلك. وهكذا كانت طريق السلف والخلف مع أشياخهم فإن الشيخ هو والد السر ويجب على الولد عدم العقوق لوالده ولا تعرف للعقوق ضابطاً نضبطه به إنما الأمر عام في سائر الأحوال وما جعلوه إلا كالميت بين يدي الغاسل فعليك يا ولدي بطاعة والدك وقدمه على والد الجسم فإن والد السر أنفع من والد الظهر لأنه يأخذ الولد قطعة حديد جامد فيسكبه ويذيبه ويقطره ويلقي عليه من سر الصنعة سراً فيجله ذهباً إبريزا فاسمع يا ولدي تنتفع وكثير من الفقراء صحبوا أشياخهم حتى ماتوا ولم ينتفعوا لعدم الأدب. وبعضهم مقتوا آه من صدود الرجال ومن صحبة الأضداد ومن سماع المريد للمحال.

وكان رضي الله عنه يقول: أنا موسى عليه السلام في مناجاته، أنا علي رضي الله عنه في حملاته، أنا كل ولي في الأرض خلعَتهُ بيدي ألبس منهم من شئت، أن في المساء شاهدت ربي وعلى الكرسي خاطبته، أنا بيدي أبواب النار غلقتهَا، وبيدي جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكنته جنة الفردوس. واعلم يا ولدي أنا أولياء اللّه تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون متصلون باللّه، وما كان ولي متصل باللّه تعالى إلا وهو يناجي ربه، كما كان موسى عليه السلام يناجي ربه وما من ولي إلا ويحمل على ا لكفار كما كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحمل. وقد كنت أنا وأولياء اللّه تعالى أشياخا في الأزل بين يدي قديم الأزل وبين يدي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وإن اللّه عز وجل خلقني من نور رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأمرني أن أخلع على جميع الأولياء بيدي فخلعت عليهم بيدي. وقال لي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يا إبراهيم أنت نقيب عليهم، فكنت أنا ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأخي عبدالقادر خلفي وابن الرفاعي خلف عبدالقادر ثم التفتَ إليَّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وقال لي يا إبراهيم سر إلى مالك وقل له يغلق النيران وسر إلى رضوان وقل له يفتح الجنان، ففعل مالك ما أمر به ورضوان ما أمر به وأطال في معاني هذا الكلام. ثم قال رضي الله عنه: وما يعلم ما قلته إلا من انخلع من كثافة حجبه وصار مروضاً كالملائكة. قلت: وهذا الكلام من مقام الاستطالة تعطي الرتبة صاحبها أن ينطق بما ينطق وقد سبقه إلى نحو ذلك الشيخ عبدالقادر الجيلي رضي الله عنه وغيره فلا ينبغي مخالفته إلا بنص صريح والسلام. وهو إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد بن أبي النجاء بن زين العابدين بن عبدالخالق بن محمد بن أبي الطيب بن عبد اللّه الكاتم بن عبدالخالق بن أبي القاسم ابن جعفر الزكي بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي الزاهد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي رضي اللّه عنهم أجمعين، تفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ثم اقتفى آثار السادة الصوفية وجلس في مرتبة الشيخوخة وحمل الراية البيضاء وعاش من العمر ثلاثاً وأربعين سنة ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان حتى مات سنة ست وسبعين وستمائة رضي الله عنه.

(ومن نظمه رضي الله عنه ورحمه)

سقاني محبوبي بكأس المحبة
فتهت عن العشاق سكرا بخلوتي
ولاح لنا نور الجلالة لو أضا
لصمِّ الجبال الراسيات لدكت
وكنت أنا الساقي لمن كان حاضرا
أطوف عليهم كرة بعد كرة
وناد مني سراً بسر وحكمة
وإن رسول اللّه شيخي وقدوتي
وعاهدني عهداً حفظت لعهده
وعشت وثيقاً صادقاً بمحبتي
وحكمني في سائر الأرض كلها
وفي الجن والأشباح والمردية
وفي أرض صين الصين والشرق كلها
لأقصى بلاد اللّه صحت ولايتي
أنا الحرف لا أقْر لكل مناظر
وكل الورى من أمر ربيٍ رعيتي
وكم عالم قد جاءنا وهو منكر
فصار بفضل اللّه من أهل خرقتي
وما قلت هذا القول فخرا وإنما
أتى الإذن كي لا يجهلون طريقتي
وله أيضاً عفا اللّه عنا به

تجلى لي المحبوب في كل وجهة
فشاهدته في كل معنىً وصورة
وخاطبني مني بكشف سرائري
فقال أتدري من أنا قلت منيتي
فأنت منائي بل أنا أنت دائماً
إذا كنت أنتَ اليوم عين حقيقتي
فقال كذاك الأمر لكنه إذا
تعينت الأشياء كنت كنسختي
فأوصلت ذاتي باتحادي بذاته
بغير حلول بل بتحقيق نسبتي
فصرت فناء في بقاء مؤبد
لذات بديمومة سرمدية
وغيبني عني فأصبحت سائلاً
لذاتي عن ذاتي لشغلي بغيبتي
وأنظر في مرآة ذاتي مشاهداً
لذاتي بذاتي وهي غاية بغيتي
فأغدوا وأمري بين أمرين واقف
علومي تمحوني ووهمي مثبتي
خبأت له في جنة القلب منزلاً
ترفع عن دعد وهند وعلوة
أنا ذلك القطب المبارك أمره
فإن مدار الكل من حلول ذروتي
أنا شمس أشراق العقول ولم أفلْ
ولا غبت إلا عن قلوب عمية
يروني في المرآة وهي صدية
وليس يروني بالمرآة الصقيلة
وبي قامت الأنباء في كل أمة
بمختلف الآراء والكل أمتي
ولا جامع إلا ولي فيه منبر
وفي حضرة المختار فزت ببغيتي
وما شهدت عيني سوى عين ذاتها
وإن سواها لا يلمُ بفكرتي
بذاتي تقوم الذات في كل ذروة
أجدد فيها حلة بعد حلة
فليلى وهند والرباب وزينب
وعلوى وسلمى بعدها وبثينة
عبارات أسماء بغير حقيقة
وما لوحوا بالقصد إلا لصورتي
نعم نشأتي في الحب من قبل آدم
وسري في الأكوان من قبل نشأتي
أنا كنت في العلياء مع نور أحمد
على الدرة البيضاء في خلويتي
أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه
بلطف عنايات وعين حقيقة
أنا كنت مع ادريس لما أتى العلا
وأسكن في الفردوس أنعم بقعة
أنا كنت مع عيسى على المهد ناطقاً
وأعطيت داوودا حلاوة نغمة
أنا كنت مع نوح بما شهد الورى
بحاراً وطوفاناً على كف قدرة
أنا القطب شيخ الوقت في كل حالة
أنا العبد إبراهيم شيخ الطريقة

قلت: وجميع ما فيه استطالة من هذه الأبيات إنما هو بلسان الأرواح ولا يعرفه إلا من شهد صدور الأرواح من أين جاءت وإلى أين تذهب وكونها كالعضو الواحد من المؤمن إذا اشتكى فيه ألما تداعى له سائر الجسد وذلك خاص بالكامل المحمدي لا يعرفه غيره. وقد كان سهل بن عبد اللّه التستري رضي الله عنه يقول: أعرف تلامذتي من يوم ألست بربكم وأعرف من كان في ذلك الموقف عن يميني ومن كان عن شمالي ولم أزل من ذلك اليوم أربي تلامذتي وهم في الأصلاب لم يحجبوا عني إلى وقتي هذا نقله ابن العربي رضي الله عنه في الفتوحات.

وكان رضي الله عنه يقول: أشهدني اللّه تعالى ما في العلى وأنا ابن ست سنين ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين، ورأيت في السبع المثاني حرفاً معجماً حار فيه الجن والإنس ففهمته وحمدت اللّه تعالى على معرفته. وحركت ما سكن وسكنتُ ما تحرك بإذن اللّه تعالى وأنا ابن أربع عشرة سنة والحمد لله رب العالمين هذا ما لخصته من كتاب الجوهرة له رضي الله عنه وهو مجلد ضخم.

الباب الثالث

بدء أصل الطرق الصوفية

اعلم يا أخا العقل أن اللّه تعالى لما أمرعباده أن يدعوه – أي يذكروه – بأسمائه تعالى الحسنى طلب الكثير من الصحابة من حضرة من أسند اللّه تعالى إلى حضرته البيان والتبيين أن يتعلموا كيف يكون الذكر بأسماء اللّه تعالى والأعداد التي يذكرونها. فأبان لهم صلى الله عليه وسلم: أن أفضل الذكر، إما أن يكون باسم الذات وهو اللّه تعالى، أو باسم النفي والاثبات وهو لا إله إلا اللّه. وإما أن يكون سراً أو جهراً، أو يكون جامعاً لكلتا الحالتين كما قال تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول﴾ الآية فبين صلى الله عليه وسلم الذكر السري في قوله الشريف عن سعد بن مالك قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم (خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي). وعن عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها قالت: كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يفضل الصلاة التي يستاك لها، على الصلاة التي لا يستاك لها سبعين ضعفا. وقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم (لفضل الذكر الخفي الذي لا يسمعه سبعون ضعفا). فيقول إذا كان يوم القيامة وجمع اللّه الخلائق لحسابهم وجاءت الحفظة بما حفظوا واكتبوا. قال اللّه لهم: أنظروا هل بقي له من شيء؟ فيقولون: ربنا ما تركنا شيئا مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه، فيقول اللّه تبارك وتعالى له: إن لك عندي خبيئاً لا تعلمه، وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفي، فاختار الصديق الأكبر رضي الله عنه أن يعلمه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم الذكر الخفي والذكر الجهري فلقنه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم اسم الذات بالسر وهو (اللّه) واسم النفي والإثبات بالجهر وهو (لا إلا إلا اللّه) فدأب عليهما رضي الله عنه ليكون جامعاً بين السر والجهر، والظاهر والباطن والحقيقة، والشريعة. والقول والفعل، فكان من إخلاصه رضي الله عنه وشدة مراقبته احترق كبده وقد شهر عنه أنه كان يشم من نفسه رائحة الكبد المشوي، وشهر من وصفه الذاتي ما رواه في مجمع الزوائد عن السيدة عائشة رضي اللّه عنها. قالت: كان غزيز الدمعة وقيد الجوانح، أي محزون القلب كأن الحزن قد كسره وضعفه، يرى عليه الإنكسار، وشدة الخوف من اللّه، شجي النشيد، يعني أن من يسمعه وهو يقرأ يحزن لسماع قراءته لشدة اخلاصه، إذا ما سمعته كأنك تسمع اللّه يقول: كيف لا وهو القائل: ﴿إن اللّه لا يعجل بعجلة العباد حتى تبلغ الأمور عنده ما أراد). وقد قال رضي الله عنه (لا آمن مكر اللّه ولو احدى قدمي داخل الجنة) وقد قال عند سماعه من حضرته صلى الله عليه وسلم (الصلاة في أول الوقت في رضوان اللّه، وفي وسط الوقت في رحمة اللّه، وفي آخر الوقت في عفو اللّه) فقد قال الصديق رضي الله عنه (لأن أكون في رضوان اللّه تعالى خير لي من أن أكون تحت عفو اللّه). وهكذا كل من سلك على مبدئه، ونسج على منواله، وشرب من مشربه يفيض اللّه تعالى عليه، كما قال تعالى ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء﴾ الآيات وممن حاز هذا الفضل والفخار السيد محمد بهاء الدين الذي عرف عنه أنه نقش الاسم على قلبه، فشهر بالنقشبندي بالفارسية وشهرت من الصديقية إلى النقشندية وفرعت وكثر فيها الأفاضل واشتهر فيها أهل الحزم والعزم وإن أردت أن تعرفهم فاضلاً عن فاضل، فاتبع أسانيدهم تجدها كسلسلة المحدثين والقراء للكتاب العزيز، والسنة المطهرة.

واعلم أن من مقتضيات حكم العليم الخبير سبحانه وتعالى أن جعل مقام أهل الاحسان أعلى المقامات في الدين الإسلامي، كما قدمنا وهم الربانيون أهل اللّه تعالى وخاصته من خلقه، ولذا جعل نشر مبادئهم على زوجين ولا ثالث لهما بين جميع المسلمين على الاطلاق، وهم الصديقية الذين أصلهم سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعلوية وهو الذين أصلهم سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم اللّه تعالى وجهه، هذا وإن كان صلى الله عليه وسلم أعطى العهد لكثير من الصحابة كسيدنا أنس بن مالك، خادم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه، كما ينتهي إليه أحد سندي سيدي أبي الحسن الشاذلي، والآخر عن سيدنا علي رضي اللّه تعالى عنهم.

وممن أخذ العهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا سلمان الفارسي، وسيدنا أبو هريرة، وسيدنا ابن مسعود، وسيدنا حذيفة بن اليمان، وغيرهم. لو استقصيناه لضاق بنا المقام.

أفهموا تفقهوا

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾.

س: ما هو السعي إلى صلاة الجمعة ؟ السعي العمل والفعل ولا يقصد به السعي على الأقدام فقط بل هو الأفضل ولو ركب دابة أجزاه.

س: ما حكم السعي ؟

حكمه الفرضية إنما وجب السعي للجمعة ولم يجب في غيرها لأنها لا تكون إلا بالمسجد وأما غيرها فلا يختص بموضع، وقال الفاكهاني من علماء المالكية: لا خلاف بين الأئمة أن الجمعة واجبة على الأعيان والسعي إليها واجب حيث لا مانع.

س: ما هو المانع الذي يمنع السعي إلى الجمعة ؟

المانع منه ما يتعلق بالنفس كالمرض الذي يسبق معه الإتيان إليها ومنها ما يتعلق بالأهل مثل أن يكون قد اشتد بأحد والديه المرض أو احتضر أو خشي عليه الضيعة ومنها ما يتعلق بالمال مثل أن يخاف على ماله من سلطان أو سارق أو حريق، ومنها المطر الشديد والوحل الكثير، ومنها أن يكون معسراً وخاف أن يحبس إن ظهر.

س: ما هو وقت السعي الذي يجب فيه ؟

وقت وجوب السعي لمن منزله قرب المسجد عند جلوس الإمام على المنبر وشرع المؤذن في الآذان وأما من بَعُدَت داره وجب عليه السعي من الوقت الذي يمكنه من الوصول إلى المسجد عند الزوال.

س: على من يجب السعي ؟

يجب السعي على من في البلدة ومن على ثلاثة أميال من المسجد فأقل.

س: قد تقم ذكر الآذان وللجمعة أذانين فأيهما المعني بالذكر في قولك وشرع المؤذن في الآذان ؟

أردت الأذان الشرعي عند جلوس الإمام على المنبر لأنه لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أذان واحد ولا في زمن سيدنا أبوبكر ولا سيدنا عمر، وإنما سنه ذو النورين سيدنا عثمان رضي الله عنه عندما كثر الناس واتسعت المدينة سنَّ لهم الأذان الأول على المنار ويحرم عند الأذان بين يدي الإمام البيع، فإن وقع بين اثنين تلزمهم الجمعة أو أحدهما فُسخ البيع وكذلك يحرم كل ما يشغل عن السعي إليها كالأكل والشرب والسفه.

س: هل للجمعة شروط ؟

للجمعة شرط وجوب وشرط أداء والفرق بينهما أن شرط الوجوب يجب أن تكون مديوناً وشرط الصحة ما يبرئك من الدين.

س: ما هي شروط الوجوب ؟

شروط الوجوب الإعلام بدخول الوقت والإسلام والبلوغ والعقل والذكورة والحرية والصحة والقرب بحيث ألا يكون على أكثر من ثلاثة أميال والاستيطان. وشروط الصحة الإمام والجماعة والجامع والخطبة والجماعة عند مالك ليس فيها حدٌ معين ولكن اختار أصحابه اثنى عشر باقين إلى نهاية الصلاة.

محمد الحسن الفكي

رايات العز في ضيافة اليعقوباب

وصلت صحيفة رايات العز وهي في تطوافها لكل محبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأكرمين وهي تجوب أرجاء المعمورة مع إشراقات الصباح الباكر إلى عمارة الشيخ هجو، إحدى المناطق التي تقع قرب مدينة سنار للمشاركة الودية في الاحتفالات بالذكرى السنوية للشيخ محمد التوم ود بانقا، حيث قَدمَ كل الأحباب من كل صوب وحدب لهذا المحفل العظيم مختتمين يومهم بزيارة ضريح الشيخ (ود بانقا) وهم يرددون المدائح النبوية بشدوٍ عميق معمرين ليلتهم بالأذكار والدعاء.

مراسم تتويج لأحد خلفاء اليعقوباب

وفي وسط هذا الكم الهائل من الحشود الزائرة التقينا بأبناء وخلفاء اليعقوباب وعلى رأسهم أبناء الشيخ هجو الشيخ موسى والشيخ مرزوق الشيخ موسى وبعد حديث عذب مفيد معهم خرجنا إليكم بهذه الدردشة المعرفية البسيطة:

من هم اليعقوباب وأين يقطنون

اليعقوباب هم أبناء الشيخ موسى ود حمدان ود عبود الجعلي العقلي المولود بقرية كَتّورشمال عطبرة وأتى إلى منطقة سنار (منطقة الفونج في عهد السلطنة الزرقاء) سائحاً إلى ربِّه تعالى فاراً بدينه إليه، وصار يتعبد بمنطقة موسى أبو دقن، وهي تقع بين ديم المشايخة وسنارالمدينة،وتزوج ابنة الملك عمارة دنقس أحد كبار ملوك الفونج وتقع منطقة اليعقوباب ما بين مدينة المناقل ومدينة سنار.

قبة الشيخ التوم

من أين جاءت تسمية اليعقوباب

ولد أول الأبناء للشيخ ودبانقا وسُمي يعقوب ولُقِّب الشيخ ود بانقا بـ أبو يعقوب ومنها صار الناس ينادون كل أبنائه ومريديه باليعقوباب وكذلك تسمية الشيخ ببانقا لم تأتِ من فراغ حيث كان له سر أيضاً وهو عندما وافت المنية والده أوصاه قائلاً (إذا مت لا تدفنوني بل ضعوني على مركب وحيثما وقفت المركب عليكم أن تواروا جثماني عند مكان وقوفها) حينها اتجهت المركب نحو الشمال بعد ثلاثة أيام رست بعد فتور الناس من متابعتها، فسئلت والدته عنه وقيل لها أين شيخ محمد ابنك ؟ فأجابت قائلة بأن (محمد ابني بان نقاه) ومنها شاع اسمه ببانقا.

نشأته

نشأ الشيخ محمد بانقا (وتربى مع جده الملك عمارة دنقس فحفظ القرآن ودرس العلوم الدينية حيث كانت سلطنة الفونج تهتم بالعلم والعلماء وتقدر قيمتهم، فورثوا ثقافة الفونج وذلك أثره واضح في نظم تتويج الطريقة، ففيها الكثير من ثقافة ونظام تتويج ملوك الفونج ومن بين هذه الطقوس التي نجدها في موروثات الشيخ نجد (الككر) و(الطاقية أم قرينات) وكان الشيخ أيضاً بمثابة أمير البحرين لأنه كان عليه المسئولية التامة عن جباية الضرائب حتى بلغ الـ٨٠ من عمره.

الزفة

كيفية أخذه للطريقة ومنهاجه في إرشاد السالكين

جاء إلى منطقة أربجي فوجد فيها الشيخ تاج الدين البهاري ناصباً خيمته فسأل عنه وقيل له هذا هو شيخ الطريقة القادرية وهي طريقة تَردُّ الشاردين إلى الله وتوصلهم بالله، ولكن كل من يريد أن يسلك هذا الطريق يجب عليه أن يدخل إلى خيمة الشيخ فيقوم بذبحه ثم بعدها يأخذ الطريقة، فسأل الشيخ بانقا إذا كان هناك من دخل قبله إلى الخيمة فقالوا له نعم سبقك بالدخول الشيخ محمد عبد الصّادق (وهو جد وشيخ الصادقاب)،بعدها دخل إلى خيمة الشيخ البهاري ووجد الأمر مجرد امتحان ليس إلا، وكل ما في الأمر أن من يتشجع ويدخل تذبح له شاة ويخرج دمها للعامة وبعدها يسلك الطريقة القادرية.

ظل اليعقوباب يسلكون الطريقة القادرية إلى عهد الشيخ التوم ود بانقا وبعدها أخذ الشيخ التوم الطريقة السمانية من الشيخ الطيب ود البشير (أم مرِّحي) وكان منهاج الشيخ في تربية وإرشاد السالكين منهاجاً صوفيًّا يعتمد على كثرة الأذكار والصلاة على سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وترديد المدائح النبوية وغيرها من أساليب الإرشاد الصوفية. ويجدر الذكر هنا إلى أنه سُمِّي بأديب الأدباء لأنه عندما ذهب إلى أم مرِّحي لمقابلة الشيخ الطيب خلع عمامته وربط بها وسطه وخلع طاقيته وأمر كل من معه بذلك وعلق قائلاً (حتى يميز المابشوف مثلي بين الشيخ والفقراء) وبهذا هو أول من أتى بالحزامة وتسمى (الكرَّابة) فأطلق عليه الشيخ الطيب ود البشير أديب الأدباء وأخذ منه الطريقة السمانية وجاء بها إلى سنار ونشرها في الصعيد وعُرِفت بالطريقة السمانية اليعقوبابية أي من القادرية إلى السمانية.

من أشهر تلامذة الشيخ التوم ود بانقا على سبيل المثال لا الحصر

الشيخ برير ود الحسين في شبشة بالنيل الأبيض.
راجل الكريدة بالقرب من الدويم.
الشيخ النور ود عربي المُسلَّمي في ريبا بسنار.
الشيخ طلحة في شرق سنار.
الشيخ محمد هاشم.
الشيخ دينق ببحر الغزال.
الشيخ عبد الحي (الشريف الدسيس).

من أشهر قرى اليعقوباب

عمارة الشيخ هجو (التوم ود بانقا).
العزازة الشيخ التوم ود هجو.
هجو الأحمر.
السبيل (وتوجد بها نظارة اليعقوباب).
أم حمره.

خلاوى اليعقوباب وأشهر من تعلم بها

أول خلوة قرآن أنشئت لليعقوباب هي الخلوة الموجودة حالياً وفي عام ١٩٠٣م تمّ تحديث تأسيسها وفي عام ٢٠٠٣م تمّ الاحتفال بمرور قرن على تأسيسها..

وأشهر من تعلم بها الشيخ هجو والشيخ هجو الشيخ الناجي وشيخ عبد الله (الخليفة الحالي للطريقة).

تواتر الخلافة بين اليعقوباب:

أول خليفة للشيخ التوم هو الشيخ الخضر الشيخ بانقا (الماصع) وهو ابن أخ الشيخ التوم ثم خلفه ابنه الشيخ هجو ود الماصع ثم انتقلت الخلافة إلى أبنائه الشيخ يعقوب والشيخ موسى والشيخ تاج الدين والشيخ أحمد رضي الله عنهم في الفترة ما بين ١٩٣٠ إلى ١٩٩٦م ثم بعد ذلك انتقلت الخلافة للأحفاد وأولهم الشيخ الناجي ومن بعده الشيخ عبد الله الشيخ يعقوب الشيخ هجو.

مجالس الذكر

احتفالات المناسبات السنوية لليعقوباب

من أهم وأكبر الاحتفالات السنوية للسادة اليعقوباب على مر السنين هي: احتفالات الرجبية وزيارة العزازة وهي اليوم الثاني من عيدي الفطر والأضحى، والمولد النبوي الشريف، ثم الحولية السنوية (الزيارة السنوية) هذه الحولية يحضرها أولاد عبد الله ود العباس من منطقة زيدان شمال كردفان وأولاد الشيخ عبد الله ود إبراهيم المكنَّى بودِّ العباس من شمال أم روابة الواقعة في ولاية شمال كردفان والشيخ محمد أحمد أبو عزة والشيخ خالد والشيخ منا (تندلتي).

ويقوم كل المريدين والأحباب في هذه الزيارة بإحياء كل من ليلة الاثنين والخميس بالذكر الخاص بالطريقة وذكرها الأصلي هو (الله الواحد الله) ويعرف بالزرد.

من الحكم والأقوال المأثورة للشيخ التوم ود بانقا:

ألا يا سالكاً طرق النجاة
تأدب واستمع وصاتي
وَصَلَ الرجالُ بخالصِ النيَّات
وتسابقوا لِله في الخيراتِ

وقال أيضا:

أترك مجلساً فيه الهدايا
لأن النّاس للأموال تميل
أترك علةً عند الرئاسة
كذا الملبوس على ظهر الخيول
أترك شهوة عند النساء
كذا الراحات مع طيب الأكول

ومن أقواله أيضا:

من رتل القرآن زاد حلاوة
ومن رتب الأشياخ لا بد من الوصل

وقال أيضا:

يا من تريد أن تتبع آثارهم
موت لنفسك أربعة موتات
بالجوع ثم خلاف لنفسك ولباس جبة
وتحمّل الناس بالأذيات

وأرجو أن تسنح لنا الفرصة في الأعداد القادمة لنتناول بالحديث مشايخ اليعقوباب ومآثرَهم ومناقِبهم.

صديق أبو هريرة

بالحقائق ناطقين

الرضا

الرضا كلمة لطيفة القوام عميقة المعنى عالية المقام وحقيقة ذات قيمة عالية قد تكون أهميتها خافية عن أذهان الكثيرين مع تعاظم الحاجة لتحقيقه. فالرضا ثمرة من ثمار المحبة ووجه من أوجه العبادة والتسليم والسكينة القلبية لأنه بمثابة البنية الأساسية لتحقيق الطمأنينة وراحة البال، فالرضا في حد ذاته له عدة أوجه وحالات تعكس المعنى الحقيقي للرضا الكامل المنبثق من المحبة وإلى الحبيب فهنالك من الرضا ما يكون تجاه كل ما يبدر من الحبيب من ألم دون أن نشعر أو نحس بألمه، وفي حالة أخرى تشعر بالألم وتحسه وتدركه وتكون راضياً عنه بل راغباً فيه، مريداً له – وإن كنت كارهاً بطبعك البشرى – فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الألم لأن الحب يغلب بحيث يكون حظ المحب (الراضي) من مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه ولا غاية يقصدها سوى مراد حبيبه ورضاه التام لأنه أكبر الغايات وأقصى الأماني يقول الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني رضي الله عنه:

يَرْضَى المُحِبُّ بما قضيتُ ولوأتَى
عَـذْلي بِما مِنهُ اشْتُكى ويُعاني

وأيضاً الاقتناع التام بكل ما يجري للفرد نفسه من مجريات أحداث القدر وتقبل كل ما يتواتر عليه من أمور الحياة من الأخذ والعطاء برَحابة صدر، وثبات قلب، وطمأنينة روح هو وجه من أوجه الرضا بإرادة الله وهو يقودنا إلى جانب مهم قد يكون موازياً للرضا وليس منافياً له وهو الدعاء وأياً كان نوعه سواء أكان دعاء لجلب منفعة، أو دفع مضرة، أو سد حاجة، فهو في النهاية لا يخرج من كونه عبادة وله الكثير من الفوائد فالدعاء يستخرج صفاء الروح وخشوع القلب ورِقَّة التَضرُّع وتبيان الرَّجاء لله تعالى ولأهل الله الأكرمين والرجاء ثمرة من ثمرات المحبة. وعلى سبيل المثال عند الظمأ فحملُ الإناء لرشف الماء ليس مناقضاً للرضا بقضاء الله في العطش. لذا فالرِّضا أولاً وأخيراً بعد النظر للمحبوب هو نهاية التفضيل وغاية الغايات وأسمى الأمنيات.

يقول الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني رضي الله عنه:

ويومئذٍ يقولُ الرُّسْل جَهْراً
رَضِيْنا يا أَبَا الزَّهْراءِ رَضِيْنَا

هادية محمد الشلالي

سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

هو أبو عمارة وأبو يعلي حمزة بن عبد المطلب بن هاشم سيد الشهداء - أسد الله وأسد رسول الله وخير أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة (أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب)، وأمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي بنت عم السيدة آمنة بنت وهب أم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قبر سيدنا حمزة

مولده رضي الله عنه

ولد سيدنا حمزة رضي الله عنه قبل عام الفيل بنحو سنتين أو أربع وأسلم ما بين السنة الثانية أو السادسة من البعثة واستشهد في غزوة أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة وعاش نحو سبعة أو تسعة وخمسون سنة.

شجاعته ومكانته

كان له من القوة والشجاعة وعزة النفس وإباء الضيم نصيب وافر رفع شأنه وأعلى مكانه فكان أعز فتيان قريش وأشدهم شكيمة وأقواهم عزيمة وأعظمهم في النفوس محبة ومهابة. فكان صاحب قنص يخرج له، ثم يرجع من قنصه فيطوف الكعبة قبل أن يصل إلى أهله ولا يمر على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم، وتحدث معهم فأنسوا به وأنس بهم. كانت ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم به عظيمة، فعقد له أول لواء في الإسلام وأقامه على رأس أول بعث إلى سِيف البحر ساحل البحر في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليأخذ الطريق على أبي جهل بن هشام وكان في ثلاثمائة راكب من أهل مكة. وعقد له أيضاً اللواء في غزوة بني قينقاع (من اليهود).

ولسيدنا حمزة رضي الله عنه في غزوة بدر مقام مشهور وجهاد مشكور فقد كان قتلى المشركين فيها سبعين حيث انفرد سيدنا حمزة بقتل خمسة من رؤوسهم وشارك في قتل مثلهم وقد شهد له المشركون بهذه الشجاعة. قال أمية بن خلف المشرك في أثناء القتال لعبد الرحمن بن عوف: يا عبد الإله من الرجل منكم المعلَم بريشة نعامة في صدره؟ قال: ذاك حمزة بن عبد المطلب. قال أمية: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل.

سبب إسلام سيدنا حمزة رضي الله عنه

مر أبو جهل برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لشأنه، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم أما عند المشركين فألم أليم وحزن مقيم وأما عند المسلمين ففرح عام وسرور تام فقد عز النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وامتنعوا وبه وكفَّ المشركون عن بعض ما كانوا ينالون منهم وقد شاء الله العظيم أن يمد قوة الإسلام سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ثم يزيد هذه القوة بإسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد إسلام سيدنا حمزة بقليل.

استشهاد سيدنا حمزة رضي الله عنه

قاتل حمزة يوم (أحد) قتالاً مأثوراً ودافع دفاعاً مشكوراً فقد قتل ثلاثة من كبار المشركين منهم - اثنان من حملة اللواء ثم استشهد رضي الله عنه بحربة قذفه بها وحشي بن حرب خلسةً بعد أن أغرته هند بنت عتبة بالأعطيات ووعده سيده بالعتق إن هو قتل حمزة. قال وحشي: كنت غلاماً لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى (أحد) قال لي جبير: إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق، قال وحشي: فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قلما أخطئ بها شيئاً فلما التقى الجمعان، خرجت أنظر حمزة وأتبصره، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق، فرأيته يهدُّ الناس بسيفه هدّاً ما يقوم له شيء فوالله أني لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى، فضربه حمزة ضربة قاضية سريعة كأنما أخطأ رأسه وهززت حربتي ودفعتها إليه، فوقعت في أسفل بطنه وخرجت من بين رجليه فأقبل نحوي فانقلب فوقع، وأمهلته حتى مات، فأخذت حربتي وتنحيت إلى العسكر ولم يكن لي بغيره حاجة فإنما قتلته لأعتق.

تمثيل هند بنت عتبة بسيدنا حمزة رضي الله عنه

مثلت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، جدعن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خلاخيل وقلائد، وأعطت وحشياً خلاخيلها وقلائدها وقرطتها وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تبتلعها فطرحتها، فعلت ذلك إطفاءً للنار التي أشعلها بين جوانحها من قتل أبيها وعمها وأخيها يوم بدر. وبلغ عن شناعة ما فعلت من الفظائع أن تبرأ أبوسفيان من تبعة ذلك وأعلن أنه لم يأمر به وإن كان قد اشترك فيه. حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة بعد انتهاء القتال في غزوة أحد، ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه حمزة فوجده ببطن الوادي، قد بقر بطنه عن كبده ومثل به (جدع أنفه وأذناه) فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شيء لم ينظر إلى أوجع منه لقلبه، فقال: (رحمة الله عليك، لقد كنت فعولاً للخير وصولاً للرحم، أما والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك). أو كما قال صلى الله عليه وسلم، ولما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب، فنزل قوله تعالى في آخر سورة النحل: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين، واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾. فصبر النبي صلى الله عليه وسلم، وعدل عما أراد وكفّر عن يمينه، ونهى عن المثلة.

وصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم على شهداء أحد فصلَّى على حمزة رضي الله عنه أوّلاً ثمَّ كان يؤتى بالشهيد فيوضع إلى جانب حمزة فيصلي عليهما معاً حتَّى صلَّى عليه سبعين مرَّة.

وكانت السيدة فاطمة رضي الله عنها شديدة الحبِّ لسيدنا حمزة فبكت عليه بكاءً شديداً وكانت تزور قبره كلَّ جمعة وتبكي عنده.

صلوات الله وسلامه عليكم آل البيت.

الأمين العقلي

كان أعز فتيان قريش وأشدهم شكيمة

كان دفاعه عن رسول الله ﷺ سبباً لإسلامه

منحة من نور أحمد الفطرة والأصل

الفطرة كلمة أثارت كثيرا من الجدل حول معانيها ومدلولاتها ومن الأسئلة التي فرضت نفسها حول مضمون الفطرة هي هل الفطرة هي الإسلام أم الاستعداد لقبول الإسلام ؟ واتفق كثير من العلماء على أن الفطرة هي الجبلّة السليمة والطبع المتهيء لقبول الدين والتوحيد وتحديداً الدين الإسلامي لأن نقاءه وحسنه يتلاقى مع الفطرة السليمة ويتلاءم مع طهارتها ولا يعدل عنها الإنسان إلا بتأثير البيئة التي يعيش فيها وتقليد أبويه وعن هذا ورد الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) وجمعاء في الحديث معناها تامة الخلق، جدعاء معناها مقطوعة الأذن والأنف.. وقال تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾.

ويتضح لنا جلياً أن كلمة الفطرة التي وردت من الحديث والآية معناها قبولهم للحق واستعدادهم للدين الصحيح متمكنين من إدراكه وأنهم لو تركوا لفطرتهم السليمة لاختاروا الإسلام على غيره لأن هنالك بديهيات مركزة في الفطرة فلا تحتاج إلى عمل من العقل ولا حركة من الفكر كإيجاد الإنسان لنفسه في الكون محال في الفطرة، لأن الصانع لا بد أن يكون متقدماً على صنعته ولا يصح في بداهة العقول أن يتقدم على نفسه. وقد يتبادر إلى الأذهان سؤال عن ماهية استعداد الطفل لاستيعاب تعاليم الإسلام جزئياً أو كلياً على أساس الفطرة. وهنا لا بد أن نتفق سوياً على أن هنالك أموراً بديهية لا يختلف فيها الصغير والكبير فهي عند الطفل كما هي عند الرجل توجد في كل فطرةإنسانية فمثلاً إذا أعطيته نصف برتقالة بكى وتضجر حتى إذا أعطيته النصف الثاني سكت ورضا وذلك لكونه يعلم أن الجزء أقل من الكل والكل أكبر من الجزء وإن لم ينتبه إلى ذلك تنبيهاً فكرياً. وتفرقته بين الحق والباطل عند محاولة انخداعه لا ينخدع لك إلا إذا كان هنالك فرد تضافر معك فأخبره بخبرك بعدها يركن إلى صدق الخبر والأمثلة كثيرة.

هادية محمد الشلالي

أولياء الله على أرض الشام
سيدنا أويس القرني رضي الله عنه

سيدنا أويس عامر القرني ولد باليمن وليس بهاإلا أمه وهو حريص على أن يبرها وليس لها خادم سواه، وكان يشتاق لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم ويتمتع بالنظر إليه ولكن بره بأمه منعه من ذلك ولكن القلوب المؤمنة تحس بنور الإيمان وسيدنا رسول الله بالمؤمنين رؤوف رحيم فقال صلى الله عليه وسلم: (خير التابعين رجل يقال له أويس).

أصابه البرص وهو يريد أن يخدم أمه وهي راضية النفس فرفع يده وقال (اللهم أذهب ما بي إلا شيء أذكر به نعمتك عليَّ) فأجاب الله دعاءه فبرئ من ذلك المرض ولم يبق منه إلا موضع درهم تحت منكبه الأيسر، لمعة بيضاء، وعاش في بلده قليل الزاد قليل المتاع رث الثياب رضى بالقليل من الدنيا مع الكثير من العبادة، كان كل همه عبادة ربه ورضاه عنه، كان يكسب القليل من المال فيبر أمه ويشتري من الطعام ما يقتات به ويعينه على العبادة ويتصدق بالباقي وربما يبيت جائعاً، ومع ذلك يعتذر إلى الله فيقول: (اللهم إني أعتذر إليك من كبد جائع فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني).

عاش رضي الله عنه مجاهداً في سبيل الله راهباً بالليل فارساً بالنهار لا يتأخر لحظة واحدة عن الجهاد في سبيل الله أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر حتى قال رضي الله عنه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع لنا أصدقاء فكلما أمرناهم بالمعروف ونهيناهم عن المنكر شتموا أعراضنا ووجدوا علي ذلك أعواناً.

اختلفوا في موته قيل في زمن سيدنا عمر بن الخطاب وقيل في زمن سيدنا علي بن أبي طالب.. فرضي الله تبارك وتعالى عنه وعن سائر الصحابة أجمعين.

إشراف
الشيخ دسوقي الشيخ إبراهيم

ركن المرأة — الاقتداء

أصبنا في العالم الإسلامي بآفة الحديث عن كل شيء بإسهاب مع وضع النظريات والخطط والبرامج دون التطبيق وكما يقال: (نتحدث كثيراً ونعمل قليلاً) وقد لا نعمل، وبهذه العادة الضارة التي انتشرت في مجتمعنا أضعنا كثيراً من الوقت الذي كان أجدى أن نعمره ونستقله بما هو مفيد.

فإذا تأملنا مثلاً إرشاد وتوجيه الأبناء لوجدنا معظم الأسر تحاول أن تتبع أسس التربية الحديثة التي تعتمد على مفاهيم موضوعة من قبل أشخاص يعتمدون في دراساتهم على نظريات قد تخطئ وتصيب أي لا تعتمد على منهج محدد أو معروف، فهل تدري عزيزي القارئ بأن الحداثة في الإسلام ؟ لأنَّه دستور مفصل كامل لحياة الإنسان أتى شاملاً لكل صغيرة وكبيرة وشاردة وواردة فعلينا أن نُنشيء أطفالنا متخلقين بسلوكيات ديننا الحنيف لأن القرآنَ الكريم أتى مفصلاً لعلوم ثلاث: عقيدة أي على التوحيد وعبادات نجدها في علوم الفقه ومعاملات وهي علوم الشريعة السمحاء وإذا كانت العقيدة هي الوعاء التي تصب فيه مجهوداتنا من عبادات ومعاملات لتنال الثواب وجب علينا أن نبحث عن فهم العقيدة الصحيحة ليهدينا نورها إلى سبيل الرشاد، وبذا فلنصطحب أبناءنا إلى حلقات دروس القرآن والفقه والعلم وحلقات الذكر، فهذه تجربة لا جدال فيها بأنها أنفع للأبناء من تلك الإرشادات و كثرة الحديث.. حتى يشربوا من صافي الأنوار الإلهية شراباً روحياً تروى به الأرواح وتتنور به القلوب فينبت غرسه في صغارك عقيدة صحيحة وإيماناً قوياً نافعاً لهم في دنياهم فيستبين طريقه كما قال تعالى: ﴿يجعل له نوراً يمشي به في الناس﴾، ولهذا لا بد من الاهتمام بأطفالنا بوضع منهج متكامل لمواجهة عصر الفضائيات والتكنولوجيا.. حتى تأتي النتيجة مشرفة في التطبيق العملي للدين وأن يكون الآباء على قدر عالٍ من الاهتمام بأمر الدين لينشأ الأبناء مقلدين للآباء وتأتي التربية تبعاً بالاقتداء بالآباء.

هدى عبد الماجد

اختبر معلوماتك

أفقي:
١- مخترع الديناميت.
٢- نقيض آخر)معكوسة)- متشابهان- متشابهان
٣- كتاب - ود (معكوسة)- ظاهرة طبيعية
٤- عاصمة قطر
٥- قرب (معكوسة)
٦- أسدد (مبعثرة)- طائر مغرد
٧- يبصر-تجدها في (هداية)
٨- للتوجع (معكوسة)- والدات
٩- من الموالح (معكوسة)- مرض صدري
١٠- وحي- أنشأ (معكوسة)

رأسي:
١- بلد عربي
٢- من الحبوب (معكوسة)- بلد عربي (معكوسة)
٣- مخترع الدينامو الكهربائي- للتعريف
٤- من الموازين
٥- غزوة إسلامية- أُكمل (معكوسة)
٦- منفرد (معكوسة)- شكل هندسي
٧- لم ينضج- سارع (معكوسة)
٨- بواسطته- وحدة قياس كهربائية
٩- شكوك (معكوسة)- ضروري (معكوسة)- متشابهان
١٠- صوت الحمام (معكوسة)- نهر بفرنسا (معكوسة)

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ذ	و	ا	ل	ق	ع	د	هـ		
٢	و	ا	ا	س	ل	ا	م	ا	هـ	
٣	ا	د		ا		ل	ل		هـ	
٤	ل	ي	و	ن		ي	ا	ي		م
٥	ن		ن		ي			ش	ر	ر
٦	و	ت	د		هـ	ي	ت	ا	ر	ك
٧	ر	و	ي		ل	ت	ر			م
٨	ي	م		د	د		م	ش	ي	ر
٩	ن	ل	م	هـ		ر		و	ش	م
١٠		ا	ل	ف	ا	ر	و	ق		ع

حل العدد السابق

ركن الطفل — يعفور ودلدل

على شاطئ البحر الأبيض المتوسط الذي كان يسمى البحر الرومي في ذلك الأوان حيث يقبع قصر المقوقس خليفة القيصر على مصر في الثغر السكندري، حركة دائبة داخل القصر حيث تستعد الأميرتان ماريا وسيرين للسفر بصحبة الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس الذي احترم الرسول والرسالة وأعد الهدايا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها الاميرتان والعبيد والطبيب والعسل الأبيض من حاضرة بنها وكذلك ركوبتان وهما حمار وبغلة، كانا على باب القصر ينتظران تحرك الركب ودار بينهما حوار طريف بدأته البغلة بقولها أتدري يا حمار هل يتقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أم يردنا؟ فقال الحمار سمعت صاحبه يقول أن من شيم النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقبل الهدية مالم تخالف شرع ربه الكريم وأغلب القول أنه سيقبلنا وسوف يكون لنا معه شأن أي شأن سوف لاينساه التاريخ، وسار الركب وسار التاريخ يحمل خطاه ووصل الركب إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه على الحبيب الذي سر بلقاء صاحبه وعودته مجبور الخاطر وتقبل المصطفى الهدايا وتسرى بمارية رضي الله عنها وكان له منها إبراهيم ثم سأل من أي بلدة هذا العسل فقال حاطب رضي الله عنه من بلدة يقال لها بنها فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله في بنها وفي عسلها وفي أهلها ثم قال أما الطبيب فلا حاجة لنا به فنحن قوم لانأكل إلا إذا جعنا واذا أكلنا لانشبع، وأما البغلة فقد سماها دلدل وكان يناديها تارة بالشهباء وأما الحمار فقد سماه يعفورتارة يناديه عفير. ويحكي لنا يعفور أنه ذات مرة كان يحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا معاذ بن جبل قال: اركب يا معاذ فقال سر يا رسول الله فقال: اركب فردفه فصرعت أي وقعت بهما فقام النبي صلى الله عليه وسلم يضحك وقام معاذ يذكر من نفسه أسفا ثم فعل ذلك الثانية ثم الثالثة فركب وسرت بهم فأخلف النبي يده فضرب ظهرمعاذ بسوط معه أو عصا ثم قال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد فقلت الله ورسوله أعلم قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا قال: ثم سار ما شاء الله ثم أخلف يده فضرب ظهري فقال: يا معاذ يا ابن أم معاذ هل تدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإن حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن يدخلهم الجنة.

مولده ﷺ - 7

حرب الفجار

قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة، فيما حدثني أبو عبيدة النحوي، عن أبي عمرو بن العلاء، هاجت حرب الفجار بين قريش، ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان وكان الذي هاجها أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، أجار لطيمة للنعمان بن المنذر، فقال له البراض بن قيس، أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة: أتجيرها على كنانة؟ قال: نعم، وعلى الخلق كله. فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته، حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية، غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سمي الفجار وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم وقال عدوهم إذا رموهم بها.

خروجه صلى الله عليه وسلم إلى التجارة بمال السيدة خديجة

قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوما تجارا، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

حديثه صلى الله عليه وسلم مع الراهب

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة. فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظلانه من الشمس - وهو يسير على بعيره - فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعف أو قريبا. وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه.

خديجة ترغب في الزواج منه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل ابن أسد بن عبدالعزى - وكان ابن عمها، وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه، فقال ورقة: لئن كان هذا حقا يا خديجة، إن محمدا لنبي هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر، هذا زمانه، أو كما قال

فجعل ورقة يستبطيء الأمر ويقول: حتى متى؟ فقال ورقة في ذلك:

لججت وكنت في الذكرى لجوجا ... لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي ... حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس ... من الرهبان أكره أن يهوجا
بأن محمدا سيسود فينا ... ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور ... يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خسارا ... ويلقى من يسالمه فلوجا
فيا ليتني إذا ما كان ذاكم ... شهدت فكنت أولهم ولوجا
ولوجا في الذي كرهت قريش ... ولو عجت بمكتها عجيجا

أرجي بالذي كرهوا جميعا ... إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا
وهل أمر السفالة غير كفر ... بمن يختار من سمك البروجا
فإن يبقوا وأبق تكن أمور ... يضج الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى ... من الأقدار متلفة حروجا

زواجه بالسيدة خديجة

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة مما أخبرها به بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له - فيما يزعمون -: يا ابن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها.

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه

وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.وأمها: فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر.وأم فاطمة: هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عمر بن لؤي بن غالب بن فهر.وأم هالة: قلابة بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبدالمطلب، رحمه الله، حتى دخل على خويلد ابن أسد، فخطبها إليه وقام سيدنا أبوطالب خطيبا في القوم فقال (الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إسماعيل وجعلنا على ملة إبراهيم حنيفا...)، فتزوجها قال ابن هشام: وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت، رضي الله عنها.

أَنَخْتُ بِعِيرِ الْقَوْمِ أُطْعِمُ عِيرَهُمْ ... وَكُنْتُ مَزُورَ الزَّائِرِينَ لِمُخْبِتِ
فَظَنَّ كِرَامُ الْقَوْمِ أَنَّهُمُ هُمُ ... أُهَيْلُ مَقَامٍ يُكْرِمُونَ زِيَارَتِي
وَحَقَّ لَهُمْ هَذَا لِأَنِّيَ عِنْدَهُمْ ... خَفِيُّ مَقَامٍ وَالْخَفَاءُ وِقَايَتِي
إِذَا طَعَنُوا فَالرَّكْبُ يَقْصِدُ حَيَّنَا ... وَإِنْ وَرَدُوا عَيْنًا فَعَيْنِي عِنَايَتِي
وَلَوْ قَرَأُوا رَمْزًا أُمِيطُ سُتُورَهُ ... وَلَوْ جَهِلُوا مَعْنًى يَكُونُ كِنَايَتِي
إِذَا طَلَبُوا الْإِرْفَادَ كُنْتُ مُجِيبَهُمْ ... مَزَاوِدُهُمْ مَلْآى بِفَضْلِ جِبَايَتِي
وَلَوْ نَزَلُوا كَانَ الْقِرَى بِمَعِينِنَا ... وَلَوْ سَبَحُوا فَلْيَسْبَحُوا بِسِقَايَتِي
لِذَاكَ مُرِيدِي كُنْ إِلَى اللهِ قَاصِدًا ... نَصِحْتُكَ فَانْهَلْ شَاكِرًا بِنَصِيحَتِي
فَكُنْ يَا مُرِيدِي لِلْكِرَامِ مُقَلِّدًا ... فَلَيْسَ أَمَانٌ فِي جَنَاحِ الْبَعُوضَةِ
فَإِنْ جَنَحَتْ لِلسِّلْمِ فَاجْنَحْ لِسِلْمِهَا ... وَإِنْ جَمَحَتْ فَالذِّكْرُ عَيْنُ الْحِمَايَةِ
وَلَا تَكُ مَهْمُومًا فَاللهُ غَافِلٌ ... وَلَا تَكُ عَبْدًا ذَا قَضَاءِ الْفَوَائِتِ
وَلَا تَكُ ذَا خَوْفٍ وَأَنْتَ بِأَمْنِنَا ... وَلَا تَكُ ذَا أَمْنٍ قُبَيْلَ الْأَمَانَةِ
وَلَا تَكُ فِي جَنْبِ الْإِلَهِ مُفَرِّطًا ... وَلَا تَكُ ذَا عَوْنٍ لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ

من ديوان «شراب الوصل»

عبير التاريخ

ما بين بن معين وبن حنبل

هو أبوزكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبدالرحمن المُرّى البغدادى رضي الله عنه،أحد حُفاظ الحديث المشهورين، ولد يحيى بن معين سنة ١٥٨هـ، وكان أبوه كاتبًا لعبدالله بن مالك، وحينما مات أبوه ترك له ألف ألف درهم أنفقها كلها فى الحديث، حتى لم يبق له نعل يلبسه وسُئل يحيى كم كتبت من الحديث؟ فقال كتبتُ بيدى هذه ستمائة ألف حديث، كما ترك كمًّا كبيرًا من الكتب، والمصنفات تربو الأحاديث فيها على الألف ألف وسبعمائة وخمسين ألف حديث، وقد روى عنه الحديث كبار الأئمة منهم: أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخارى وأبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيرى، وأبوداود السجستانى، وغيرهم من الحُفَّاظ وكان بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه من الصُحبة، والأُلفة، والاشتراك فى الاشتغال بعلوم الحديث ما هو مشهور، وقال عنه: (كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فهو ليس بحديث) وقد كتب الإمام أحمد مسنده المشهور مع الزوائد وفيه ما يربو على أربع وخمسين ألف حديث إنتقاها بعلمه وخبرته وقرب عهده من الرسول صلى الله عليه وسلم وقال هذا المسند لازم لكل مسلم فقال له الناس إذا كان هذا الكتاب لازم للمسلم فكم يلزم المحدث؟ فقال قولوا فقالوا مائة ألف حديث؟ قال لا، قالوا مائتي ألف؟ قال لا، قالوا ثلاثمائة ألف؟ قال لا، قالوا أربعمائة ألف؟ قال رضي الله عنه (قد يكون محدثا) وقد قام الإمام الحافظ العراقي رضي الله عنه بمراجعة المسند والزوائد وقال كل الأحاديث صحيحة غير أن هناك ثمانية عشر حديث لا أعرفها، وكان ممن حضر مجلسه الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني فغضب من اعتراض شيخه على المسند وأرسل خطابا إلى الإمام المحدث العلامة القسطلاني رضي الله عنه وطلب منه أن يرسل له خطابا يسأل فيه عن الثماني عشرة أحاديث التي لم ينكرها الحافظ العراقي بل قال أنه لايعرفها، ولما وصل كتاب الحافظ القسطلاني ألف العسقلاني كتابا وعنونه (القول المسدد للذود عن مسند أحمد) صحح فيها الأحاديث التي قال عنها العراقي أنه لايعرفها، هكذا كان مسند الإمام أحمد بن حنبل في الزمن الأول الذي استمد أحاديثه من شيخ مشايخ الأحاديث سيدي يحيى بن معين وشيخ الثقات وكتب المسند الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة وراجعه الإمام عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل ثم كتب الزوائد وبعد زمن طويل راجع المسند الإمام الحافظ العراقي وصححه ثم راجعه وصححه الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني والإمام الحافظ القسطلاني وكل هؤلاء قالوا أن أحاديث المسند صحيحه، وفي نفس الوقت عرض الإمام البخاري كتابه المسمى بالصحيح على الإمام أحمد بن حنبل فلما قرأه قال هذا الكتاب من أصح الكتب المصنفة، أي أن رتبة البخاري جائت من باب التصنيف والتصحيف وهذا لايعني أنه أصح من كتاب الإمام أحمد أستاذ البخاري، ولكن طلع علينا من يضعف ويكذب أحاديث المسند ويستند في تضعيفه على أدلة ظنية لاقطعية في الطعن في الرواه، وهذا جرح واضح في المصحح والقاعدة تقول لايقبل الجرح والتعديل ممن هو مجروح فيه، كما أن الطبعة الأخيرة من المسند تحتوى على ستة وعشرين ألف حديث فقط فأين ذهبت الأحاديث من المسند؟ ونعود إلى علماء الحديث ومشايخه الثقات لنسمع ما قال بن الرومي في بن معين

(ما سمعت أحدًا قط يقول الحق فى المشايخ غير يحيى بن معين، وغيره كان يتحامل بالقول). وقال يحيى بن معين: (مارأيت على رجل قط خطأً إلا سترته عليه وأحببت أن أُبيّن أمره وما استقبلت رجلاً فى وجهه بأمر يكرهه، ولكنى أُبيّن له خطأه فيما بينى وبينه، فإن قبل ذلك وإلا تركته) وتوفى يحيى بن معين رحمه الله سنة (٢٣٣هـ).

محمد صفوت جعفر

مسجد نصرتي - تركيا ١٨٢٦م

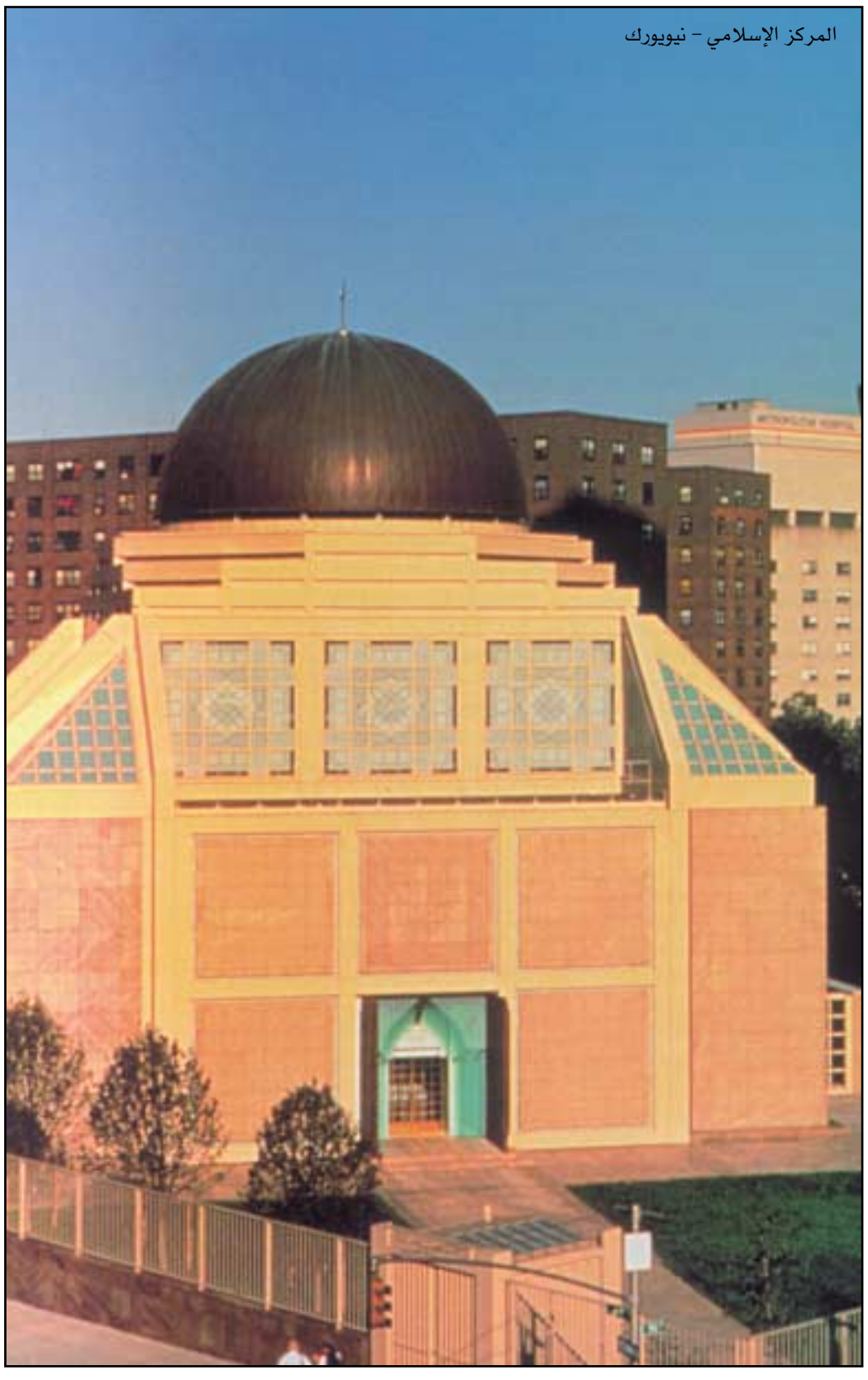

المركز الإسلامي - نيويورك